مجلـــــة العلـــــوم التربــــوية والدراســـات الإنســانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)



Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

أسس مقومات الحضارة والثقافة الغربية وموقف المسلمين منها(*)

DOI: https://doi.org/10.55074/hesj.vi33.833

د/ سارة بنت محمد صالح الحسني

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والآداب

جامعة الملك خالد بمحايل عسير

*) تاريخ تسليم البحث 7/7/2023 تاريخ قبوله للنشر 16/8/2023

*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

أسس مقومات الحضارة والثقافة الغربية
وموقف المسلمين منها

د/ سارة بنت محمد صالح الحسني
الأستاذ المساعد في كلية العلوم والآداب
جامعة الملك خالد بمحايل عسير

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى معرفة الأسس التي قامت عليها الحضارة الغربية وثقافتها، وعُمق تأثُّرها بالحضارات القديمة التي سيطرت على دولها المختلفة منذ نشأتها؛ وتوضيح الأثر الكبير للحضارتين اليونانية والرومانية على هذه المجتمعات دينيًّا، وسياسيًّا، وفكريًّا، واجتماعيًّا، وبيان أثر حكم الكنيسة على المجتمعات الغربية، لاحقًا ودور الثورات الدينية والعلمية المناوئة لها، ومدى إسهاماتها في بلورة الفكر العلماني، وقد اتبعت الباحثة المنهج الوصفي في سرد المعلومات حول الموضوع، ومعه المنهج التاريخي الأستردادي.

ومن أهم النتائج: ظهور المؤثرات القوية في تكوين الحضارة والثقافة والفكر الغربي، مثل: الحضارتين اليونانية والرومانية، ثم الديانة النصرانية، وتحولات الكنيسة، وظهور الثورات العلمية والسياسية والاقتصادية والدينية.

ومن أهم التوصيات: قيام دراسة عميقة وواسعة في هذا المجال عن طريق البحث في مكتباتهم، ودراسة مؤلفاتهم، ولن يتم ذلك على أكمل وجه إلا بتعلم إحدى لغاتهم.

الكلمات المفتاحية: مقومات الحضارة – الثقافة الغربية.



The foundations of the components of Western civilization and culture and the position of Muslims towards them

Dr. Sarah bint Muhammad Saleh Al-Hassani
Assistant Professor in the College of Arts and Sciences
King Khalid University in Mahayil Asir

Abstract:

This research aims to know the foundations on which Western civilization and its culture were built, and the depth of its influence on the ancient civilizations that dominated its various countries since its inception. And clarifying the great impact of the Greek and Roman civilizations on these societies religiously, politically, intellectually, and socially, and explaining the impact of church rule on Western societies later, the role of the religious and scientific revolutions opposing them, and the extent of their contributions to the crystallization of secular thought. The researcher followed the descriptive approach in narrating information about the subject. And with it the redemptive historical approach.

Among the most important results: the emergence of powerful influences in the formation of Western civilization, culture, and thought, such as: the Greek and Roman civilizations, then the Christian religion, the transformations of the Church, and the emergence of scientific, political, economic, and religious revolutions.

Among the most important recommendations: conducting a deep and broad study in this field by searching their libraries and studying their writings, and this will not be fully accomplished without learning one of their languages.

Keywords: components of civilization - Western culture.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

فإن هذا البحث يتطرق إلى الأسس التي قامت عليها الحضارة والثقافة الغربية الأوروبية، وبنت عليها عقائدها وفكرها؛ ليظهر من خلال هذا البحث الدور الكبير للفكر والعقائد: الوثنية اليونانية والرومانية، ثم بيان الأذى الكبير الذي سببته السلطة الكنسية وطغيانها في إثارة موجة العداء للدين، ثم بيان تأثير الثورات الإصلاحية المختلفة التي مرّت بها تلك المجتمعات، وأثرها على الواقع الغربي المعاصر.

أهمية البحث، وسبب اختياره:

من المهم جدًّا للمثقف التعرُّف على مصادر الفكر الغربي، ودراسة أسس الحضارة والثقافة الغربية؛ فهي تمنحنا فهمًا أكبر وأوضح لهذه المجتمعات، ولماذا أُعْتُنقت هذه الأفكار والمعتقدات والأخلاق، فمعرفة الخلفية الثقافية للأمم تُمكننا من معرفة أسباب تصرفاتهم، وطريقة تفكيرهم وعيشهم؛ لأنها تعود لتلك المنابع الأساسية التي أصَّلت ثقافتها وعقائدها وأخلاقها وعمرانها وفنونها، فكوّنت الإنسان الغربي الحديث، وحضارته الحالية.

حدود البحث:

إلقاء الضوء على البلدان التي تكونت فيها الحضارة الغربية اليوم والتي تشمل بلدان أوروبا كاملة، والمعروفة بالقارة الأوربية اليوم؛ والحضارات اليونانية، والرومانية، والتأثير الديني للمسيحية، وكنيستها، ثم الثورات التنويرية والعلمية والفلسفية التي أسهمت في تأسيس الحياة الإنسانية الغربية الحديثة.

مشكلة البحث:

- معرفة الأسس التي قامت عليها الحضارة الغربية الحديثة، ومعرفة المنابع التي تعود إليها منظومة العقائد والأخلاق والآداب الإنسانية والسياسية التي تبّنتها.
- بيان مساهمة الحضارات القديمة الإغريقية والرومانية في بناء المجتمعات الغربية الحديثة، ودراسة التأثير الكنسي النصراني على هذه المجتمعات، وظهور الثورات التنويرية في جميع مجالات العلوم والفلسفة والاعتقاد، وأثر هذه المكونات والمؤثرات على تكوين الإنسان الغربي، وطريقة عيشه وتفكيره.

أسئلة البحث:

١- ما هي السمات والآثار التي تركتها كل من الحضارتين اليونانية والرومانية على تكوين الحضارة الغربية؟

٢- ما أثر الديانة النصرانية والكنيسة على المجتمع الغربي؟

٣- ما هي الثورات التنويرية التي ساهمت في تكوين الفكر الغربي؟

أبرز الدراسات السابقة التي اعتمد عليها البحث:

من أبرز الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع:

- دراسة لحسين مؤنس، بعنوان الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها.
- ودراسة لسعيد عبد الفتاح عاشور، بعنوان وأوروبا العصور الوسطى، ط٨، ١٩٩٧م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- ودراسة إميل برييه، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: جورج طرابيشي، قصة الفلسفة لول ديورانت، وكتب أخرى تظهر في ثنايا البحث.

خطة البحث:

تقسيم الموضوع إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

١- المقدمة: وتشتمل على: التمهيد، ومصطلحات البحث، وأهميته، وحدوده، والمنهج المتبع، ومشكلة البحث، خطة البحث.

٢- المبحث الأول: الأسس الأولية للحضارة الغربية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر اليونان الفكري والاجتماعي على الثقافة الأوروبية.

المطلب الثاني: أثر الرومان الفكري والاجتماعي على الثقافة الأوروبية.

المطلب الثالث: أثر الكنيسة الكاثوليكية على الثقافة الأوروبية.

٣- المبحث الثاني: الأسس الحديثة للثقافة الأوروبية المعاصرة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحركة الإصلاحية في الكنيسة، والثورة الفرنسية.

المطلب الثاني: الحركات العلمية والفلسفية والأدبية الحديثة.

المطلب الثالث: النظريات الحديثة في السياسة والاقتصاد.

٤- المبحث الثالث: الواقع الغربي المعاصر، وموقف المسلم منه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الواقع المعاصر للأمم الغربية اليوم.

المطلب الثاني: موقف المسلمين من الحضارة الغربية.

٥- الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج، والتوصيات، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي الاستردادي لدراسة الظاهرة، وتحليل عناصر الموضوع للوصول إلى النتائج.

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث:

أولًا: أساس: أصل البناء، ومرتكزه، وقاعدته، وهو قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وفي قول الله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٩]. والأساس أَصلُ كلِّ شيء ومبدؤه، والبحث هنا يُبيّن الظواهر والقضايا والأصول التي تأسَّست عليها الحضارة الغربية(١).

ثانيًا: الثقافة: مِن: ثَقِف، يثقَف، ثَقَفًا؛ أي: صار حاذقًا فطنًا، وهي كذلك: "العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها"(٢)، وعرّفها تايلر: بالكل المركب الذي يشتمل على المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والعرف، وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع(٣).

وهناك استعمال حديث – منذ ثلاثين سنة تقريبًا –، وهو القول: "بأن الثقافة هي مجموع المعلومات والمعارف والممارسات والقيم الخاصة بشعبٍ ما، والتي يعيش بمقتضاها، وهي التي تُميزه عن غيره من الشعوب؛ لأنها تعبير صادق عن شخصيته وملامح هذه الشخصية وطريقته الخاصة في الحياة، وهذا معنًى جديد في كل اللغات عبر ثلاثين سنة"(٤).

ثالثًا: الغربية: الغَرْب: البلدان الغربيَّة، ويُقصد بها أوروبا الغربيَّة، والبلدان الأميركيّة، يقابله الشَّرق.

وكلمة الغرب تتجاوز القارة الأوروبية إلى كلٍّ مِن الولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا.. ووصف كثير من الجغرافيين أوروبا؛ بأنها لا تتعدَّى واحدةً من أشباه الجزر البارزة من قارة آسيا، وفي بعض الحضارات الشرقية؛ كالآشوريين عرَّفوا آسيا؛ بأنها أرض الشروق، وعرفت أوروبا بأنها أرض الظلام، أو الغروب، وكذلك يحمل مفهوم العالم المسيحي(٥).

وعليه فإننا نريد أن نتوصل إلى معرفة المقومات الثقافية الأساسية من الفكر والعقيدة والأخلاق والقانون التي أسهمت في بناء الفكر والثقافة الخاصة بالبلاد الغربية، أو ما يُسمى بـ: "الغرب".

---

(١) تهذيب اللغة (٩٦/١٣)، معجم مقاييس اللغة (١٤/١).
(٢) الثقافة الإسلامية، تعريفها، نشأتها، خصائصها (٩).
(٣) علم الاجتماع ومدارسه (١٨٩).
(٤) الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها (٣٤٢-٣٤٣).
(٥) أوروبا العصور الوسطى (١١/١).

المبحث الأول: الأسس الأولية للحضارة الغربية

المطلب الأول: الأساس الأول: أثر اليونان الفكري والاجتماعي على الثقافة الأوروبية

الثقافة الأوروبية بدأت من اليونان، والتي شملت شبه جزيرة البلقان، ومجموعة الجزر في بحر إيجه، والمدن اليونانية على ساحل شبه جزيرة آسيا الصغرى مهد الحضارة الأوروبية التي ارتبط ذكر علمائها وفلاسفتها وأدبائها وشعرائها ومشرّعيها بتاريخ الأوروبيين الذين تأثرت ثقافتهم ومعتقداتهم بالحضارة اليونانية(١)، كما تأثرت الثقافة الغربية بديانات اليونان الوثنية، وبفلسفتها في السياسة والاجتماع والعمران.

وتنقسم ديانات الإغريق إلى قسمين:

أولًا: الوثنية: وتنقسم الوثنية إلى عدة أصناف منها:

أ- عبادة مظاهر الطبيعة؛ كالسماء، والأرض، وما تحت الأرض، وكلٌّ له آلهته؛ فهناك زيوس؛ إله السماء، وزيوس الأرضي.

ب- عبادة (الإنسان للإنسان)؛ فقد عبدوا الأسلاف والأموات التي كانت أساسًا لتقديس الإنسان فيما بعد.

ج- عبادة الحيوان؛ فقد عبدوا الأفعى التي قدَّموا لها الطقوس والقرابين لإرضائها ودفع شرها، وذلك مَهَّد لعبادة الطبيعة، كما تعدّدت آلهتهم التي ذكرها شاعرهم هوميروس(٢) في ملحمتي: "الإلياذة والأوديسا"؛ فعبدوا الآلهة في الأكروبوليس، وهو عبارة عن مقر حكومة فيها اثنا عشر إلهًا.

والآلهة عندهم بشرية لا تختلف عن بقية الناس إلا في قدرتها وخلودها، وهي مزودة بقوى خارقة للطبيعة، وفيهم صفات البشر من الغدر والخيانة والمنازعة.

د- ديانات أخرى تُدعى بالسرية، مثل: عبادة الإله: "ديونيزوس" التي تُبين تعذيب الإله لابنه المقدس، وقتله، ثم بعثه إياه، والهدف من هذه العبادة: بيان أن البشرية ملوثة بالخطيئة بسبب مقتل "ديونيزوس"؛ فالروح تذهب للجحيم، كما أن لديهم طقوسًا مثل: تناول العشاء الرباني، والتطهر باللبن(٣).

ويظهر بوضوح أثر هذه العبادة السرية من عبادة الإله، وبعث ابنه، والخطيئة، والعشاء الرباني على "مسيحية بولس" النصرانية.

ثانيًا: ديانة الفلاسفة، وظهور أسس عقلانية الغرب الحديث.

١- كان قدامى الفلاسفة اليونانيين فلكيين، قد تميَّزوا بفلسفتهم المادية الطبيعية؛ فمنهم من يقول بـ: "وحدة الكون"؛ أي أن كل شيء في الكون يتكوّن من عنصر واحد، واختلفوا في كونه "الماء"، أو "النار"، أو "الهواء".

٢- تطوَّرت الفلسفة على يد "السفسطائيين" الذين وجَّهوا فلسفتهم إلى طبيعتهم وأفكارهم، ومن النادر أن تجد مشكلةً أو حلًّا.

---

(١) تاريخ الفلسفة (٢٢/١).

(٢) هوميروس شاعر إغريقي، ألَّف ملحمة الإلياذة الشعرية التي تتحدث عن آلهة اليونان المتعددة. انظر: أشهر الديانات القديمة في التاريخ (٥٣-٥٥).

(٣) انظر: دراسات في الديانات الوثنية القديمة (١٤٥-١٧١).

٣- في فلسفتنا الحالية العقلية والمسلكية لم يتحققوا منه، لقد وجهوا أسئلةً حول كل شيء، ووقفوا بلا وجل إمام الحُرمات الدينية والسياسية، وأخضعوا كلَّ عقيدة ومذهب ونظام للعقل[١]، ويؤمن الفيلسوف "أرسطو" بالقوة العليا؛ فالآلهة كلها مسؤولة أمام قوة عليا.. وإله أرسطو لا يفعل شيئًا أبدًا، وليست له رغبات، ولا إرادة، ولا هدف، ويُعرفه على أنه حيوية خالصة، لدرجة أنه لا يعمل أبدًا، وهو كامل كمالًا مُطلقًا؛ لذلك ليس بمقدوره أن يرغب بأي شيء؛ فهو لا يفعل شيئًا، وعمله الوحيد هو: التفكر في جوهر الأشياء، فوظيفته الوحيدة هي: التفكر في ذاته[٢].

السياسية والاجتماع لدى اليونان:

كان اليونان بلدًا غير متماسك أبدًا، وكل إقليم برزت فيه مدينة لها الزعامة، وسُمِّي ذلك بنظام: "دولة المدينة"، أو "المدينة الحرة"، وذلك لطبيعتها القاسية، وتفرقها، وكثرة تعاريجها، وخلجانها؛ مما أدَّى إلى تقليل نسبة السكان، فاتجهوا للهجرة إلى بلدان أخرى، منها: إيطاليا، وشمال أفريقيا، وأسَّسوا مستوطناتٍ كانت مراكز للحضارة اليونانية.

ويمكن استعراض النظام السياسي الذي كان قائم في بلاد اليونان على النحو الآتي:

أ- نظام أثينا التي اشتهر فيها النظام الديموقراطي الذي لعب دورًا هامًّا في توفير وانتشار مناخ حرية التفكير والإبداع؛ حيث أتاحت لجميع المواطنين في أثينا فرصة السيطرة بأنفسهم على التشريع، والحكم، وتصريف الشؤون الإدارية وغيرها.

ب- نظام إسبرطة وقد تميزت بنظامها الاجتماعي القاسي، وتبرز ملامح تلك القسوة في القضاء على الأطفال المرضى، وإبقاء الأقوياء بدنيًّا؛ حيث يقومون بتنشئتهم في ظروف قاسية؛ فيمشون حفاة الأقدام، ويرتدون ثوبًا واحدًا طوال العام، ويأكلون ما يسرقونه، أو يصطادونه.

ج- نظام الطبقات: طبقة الأحرار، وطبقة الرقيق، والنساء، والأجانب، وتظهر أحوال مجتمعهم في خطب، وكتابات مؤرخيها، مثل: هيرودوت الذي كتب تاريخ العالم، وأشهر خطبائهم هو: " بركليس" الذي يُبيّن في خطبه أحوال مجتمعهم.

ومن خلال ما سبق عرضه حول ديانات اليونان ونظامهم السياسي والاجتماعي يظهر تأثير ذلك الحضارة الغربية من خلال ما يأتي:

أ- يظهر أثر الفلسفة الإغريقية حين دخلت على الديانة النصرانية "الكاثوليكية" في روما من خلال عقائد الفلاسفة التي أدخلتها فيما بعد فيما أسمته بالفلسفة المدرسية.

ب- يظهر أثر الفكر اليوناني على الفلسفة المادية الغربية الحديثة، وعلى المجتمع الغربي كذلك في العصور اللاحقة، وهو ما بينه ول ديو رانت في قصة الفلسفة: من أنَ الفلاسفة انقسموا في السياسة إلى مدرستين:

- المدرسة الأولى: تُؤمن بمذهب "روسو"؛ بأنَ الطبيعة خير، والمدنية شر، وأن جميع الناس متساوون بالطبيعة، وأن النظم الطبقية المصطنعة هي التي قضت على المساواة بينهم، وفرقتهم إلى طبقات كما حدث اليونان، وأن القانون هو مِن اختراع الأقوياء من الرجال؛ ليقيّدوا، ويحكموا الضعفاء منهم.

- المدرسة الثانية: تؤمن بمذهب "نيتشه"؛ بأن الطبيعة وراء الخير والشر، وأن الناس بالطبيعة غير متساويين، وأن الأخلاق

(١) قصة الفلسفة (٤/٧، ٨).

(٢) قصة الفلسفة (٤/١١).

من اختراع الضعفاء؛ لتقييد وكبح الأقوياء، وأن القوة هي الفضيلة العليا، والرغبة العليا التي يرغب بها الإنسان، وأن الدولة الأرستقراطية هي الأفضل والأحكم!

ولا شك أن هذا الهجوم على الديموقراطية يعكس ظهور الأقلية الموسرة في أثينا، ويبرز تأثير هذا على سيادة الرأسمالية المعاصرة، وسيادة الملوك والنبلاء في القرون الوسطى(١).

ونرى مما سبق: التأثير الكبير لهذه المصطلحات اليونانية في تكوين المجتمعات الغربية في جميع عصورها؛ وهو ما أدى إلى ظهور تخبط واضح في تطبيق تلك المجتمعات والسياسات الغربية بين مصطلحات المساواة والطبقية والعنصرية.

المطلب الثاني: أثر الرومان الفكري والاجتماعي على الثقافة الأوروبية

أولًا: عصر الجمهورية الرومانية:

حكمت من عام (٧٥٠ ق. م إلى ٥٠٠ ق. م)، وعاصمتها: روما القديمة، سيطرت هذه الدولة على المدن الإغريقية في إيطاليا، وكانوا قومًا ذوي بأس شديد، تمرسوا على القتال والحروب، وكانت الوثنية التي تقوم على تقديس الأباطرة هي العبادة الرسمية للدولة، وقد أدى اتساع الدولة الرومانية إلى الاتصال بالحضارة اليونانية المجاورة؛ مما أدى إلى بروز مظاهر جديدة في المجتمع الروماني، فعلى الرغم من استيلاء الروم على الدول الخاضعة لسلطة اليونان، إلا أنهم هُزِموا أمام ثقافة ومعرفة اليونان؛ فخضعوا للنظام الأخلاقي اليوناني، ولثقافتهم، وأفكارهم المعنوية، وممارساتهم السلوكية، كما أصبحت اللغة اليونانية اللغة الرسمية للتعليم والتربية، حتى إن الكُتّاب والمؤلفين ألّفوا كتبًا باللغة اليونانية، وقلدَ الفنانون – في فن العمارة والرسم والنحت – الفنانين اليونانيين، وتوظف المعلمون اليونانيون لدى الروم، كما تخلّى الرومان عن مظاهر حياتهم المتقشفة؛ ليتأثروا بحياة اليونان المترفة؛ فاقتبسوا منهم علومهم، وفنونهم، وآدابهم، ودياناتهم.

وقد أدى التأثر بتلك المظاهر إلى انتشار الرذائل في المجتمع الروماني، وعمَّت روح الاستهتار والتهاون؛ مما أدى إلى محاولة الدولة الرومانية من الحد من بعض تلك المظاهر، وذلك بسن القوانين التي تمنع الاستهتار والبذخ(٢).

ثانيًا: عصر الإمبراطورية الرومانية:

من (٢٧ ق. م) إلى (٤٧٦م): توسعت الدولة الرومانية التي اشتهرت بالتخطيط الدقيق للمدن، وزادت الأنشطة التجارية، وهكذا نشأت طبقة غنية في المجتمع الروماني، وصاحب ذلك فساد في إدارة الدولة؛ مما سبب سقوط الجمهورية الرومانية وقيام: "الإمبراطورية الرومانية" بعد حروب طويلة، وامتدت على مساحات شاسعة من أوروبا شرقًا وغربًا، وشمال إفريقية، والجزء الشرقي من البلقان، وآسيا الصغرى، وأعالي بلاد النهرين، والشام، وبرقة، ومصر، كما أصبح لها صلة بالشرق بعد أن أتى الإمبراطور "قسطنطين"، وبنى "القسطنطينية" عام (٣٣٠م) على ضفاف البسفور، وجعلها عاصمةً له(٣).

ثالثًا: بدايات انتشار النصرانية في أوروبا:

اعتنق "قسطنطين" وكثير من الناس النصرانية، والسبب في ذلك: يعود لجفاف الديانة الرومانية التي لم يكن لها أي تأثير

---

(١) انظر: قصة الحضارة، حياة اليونان (٤/٤٣، ٤٤).

(٢) انظر: أوروبا العصور الوسطى (١/١١-٢٠).

(٣) انظر: اليونان والرومان (٣٢-٢١٣).

ديني أو عاطفي على نفوس الناس؛ حيث كانوا يقدمون القرابين لتحقيق مصالحهم الدنيوية فقط؛ فتوجّه الناس للمسيحية بسبب تأثير قصة المسيح وحياته وروحانيته وتعاليمه المستمدة من كتاب مقدس، لا من فلسفة اليونان التي لا يمكن أن يتفهمها سوى فئة خاصة من المثقفين(١).

انتشرت المسيحية في أرجاء الدولة، وأصدر الإمبراطور "قسطنطين" مرسومَ ميلان الشهير سنة (٣١٣م)، معترفًا بالديانة المسيحية، ومصرّحًا باعتبارها ديانة مقبولة في الدولة، وكفل حماية أرواح المسيحيين، وبالرغم من تدينه بالنصرانية المنقسمة بين (الأريسيين)(٢) الموحدين، و(الأثناسيوس) المثلثين، إلا أنه لم يتخلّ عن القسمين، ولا عن ديانة الدولة الوثنية، واحتفظ برجالها ومعابدها وطقوسها، ولكي يزيل الجدل القائم دعا "قسطنطين" إلى عقد مجمع ديني في "نيقية" سنة ٣٢٥م، نُفي بعده "أريوس"، وانقسم الشرق والغرب على عقيدتين، كان من مهمة الغرب اللاتيني: حماية عقيدة "أثناسيوس"(٣).

وأخذت الكنيسة تتدخل في السلطة حتى انتهى الأمر بأن تكون السلطة بيد الكنيسة، وبدأت الإمبراطورية الرومانية بالتفكك والانحلال مع زيادة تقسيماتها وهجمات أعدائها من البرابرة القبليين من "الجرمان"، والقبائل الرعوية الآسيوية من "الهون"، وكذلك "الكلت الغاليين"، و"القوط،، و"البرجنديين"، والفرنجة، وغيرهم، وذلك أيضًا بسبب ضعفها الداخلي من الفساد الإداري، وزيادة الضرائب، وتكاثر عدد الرقيق، وتناقص عدد الأحرار، كما كان هؤلاء البرابرة – أي: أتباع القبائل – هم من مكونات القارة الأوروبية أيضًا، وهم وثنيون؛ فـ"الجرمان"كانوا يعبدون الطبيعة والشمس والقمر، ويقدسون رباط الزوجية، ورعاية المرأة، واحترام العهد والكرم، ومراعاة أصول الجيرة، وقد فقدوا هذه الصفات بسبب اختلاطهم بالرومان، وتأثرهم بهم(٤).

وبناءً عليه كانت أهم المعالم التي ظهرت على الدولتين اليونانية والرومانية الآتي:

١- الاهتمام بالمدنية، والتنظيم، والبناء، والتخطيط، والعمران، والفنون، والإدارة.

٢- تعدُّد أنواع الحكم فيهما: ما بين ملكي، إمبراطوري، رئاسي، ديموقراطي.

٣- الديانة الرئيسة للدولتين الرومانية والإغريقية: كانت الوثنية، ثم النصرانية الكاثوليكية.

٤- مجتمعاتها تعتمد الطبقية والتفرقة بين الناس، وهضم حقوق النساء والضعفاء.

٥- تأثير الحضارة اليونانية كان سيئًا على المجتمع الروماني؛ فظهر فيهم فساد الأخلاق، وظهر الفساد الاقتصادي، وعم الفقر

(١) أوروبا العصور الوسطى (١٠-٥٠).

(٢) الأريوسية: هي مذهب مسيحي، وإحدى الطوائف التي لم يعد لها وجود في الوقت الراهن، تنسب إلى أريوس (٢٥٠-٣٣٦)، أحد كهنة الإسكندرية، في العام ٣٢٥ اعتُبِر "أريوس" هرطوقيًّا في مجمع "نيقية" الذي عقده الإمبراطور "قسطنطين"، ويرى ابن حزم أن "أريوس" كان موحّدًا، باعتباره حصر صفات الألوهة المطلقة بشخص، أو بأقنوم الآب. انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم. (٢٣-٢٦).

(٣) ولد أثناسيوس في الإسكندرية عام (٢٩٥م)، اشترك في مجمع "نيقية" بصفتهِ شمّاسًا، وسكرتير الأسقف: "ألكسندروس"، وهناك فنَّد آراء الأريسيين، وهو من أبرز معلّمي الكنيسة، وآبائها، فقد كان المدافع الكبير عن الإيمان النيقاوي، نال الدرجة الأسقفية عام ٣٢٨م. انظر: تاريخ أثناسيوس الرسولي (١٢-٢٩).

(٤) أوروبا العصور الوسطى (٥٠-١٠٠).

والظلم، وكثرت الضرائب؛ مما أدى إلى هلاك الإمبراطورية الرومانية.

٦- بسبب جفاف الديانات الوثنية اتجه الناس في أوروبا نحو اعتناق المسيحية؛ لأن الفلسفة لا تناسب عامة الجمهور؛ فكان ذلك سببًا رئيسًا لانتشار، وظهور المسيحية في أوروبا[١].

يظهر لنا مما سبق: أن كلتا الحضارتين الإغريقية والرومانية اللتين تُعتبران من أسس وأصول الثقافة الغربية بعيدتان كلّ البعد عن نور الوحي؛ فعقيدتها وحياتها وشرائعها وفكرها من كلام فلاسفتها البعيد عن علم الله، قال تعالى: ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ [النور: ٤٠]، قال البغوي في تفسيره: قال ابن عباس: مَن لم يجعل الله له دينًا وإيمانًا؛ فلا دين له، وقيل: من لم يهده الله؛ فلا إيمان له، ولا يهديه أحد[٢]. كما يظهر تأثيرها السياسي، واهتمامها بالمدنية، والعمران على الغرب.

المطلب الثالث: أثر الكنيسة الكاثوليكية على الثقافة الأوربية

في القرن الرابع للميلاد زاد نفوذ المسيحية وكنائسها، وقد بدت مظاهر ذلك كما يأتي:

أولًا: إداريًّا:

ازداد نفوذ الكنيسة قوةً وتنظيمًا؛ بحيث تعدّدت تنظيماتها الإدارية كتنظيمات الدولة؛ فلكل مدينة بطارقة، ثم أساقفة؛ يتبع كل واحد منهم أبرشيات وقساوسة، وبهذا تكوَّن السُّلم الكهنوتي، ثم بدأت في الحصول على امتيازات الدولة؛ كالإعفاء من الضرائب، وحق الحصول على الهبات؛ فكانوا يوزعون الهبات على الفقراء؛ حتى أوجدوا طبقةً تَدين لهم بالولاء، وأغدق الملوك والأباطرة على الكنيسة فعظمت ثروتها؛ مما أدّى إلى إبعاد رجال الدين عن الجمهور، وأصبح الأساقفة يجلسون على كراسيهم مبتعدين عن رعاياهم[٣].

ثانيًا. دينيًّا: مرَّت المسيحية بمراحل عدة ومن أبرزها ما يأتي:

١- كان أسلوب الدعوة المسيحية في بداياتها بسيطًا، يعتمد على نشر العظات بين الناس البسطاء، ثم تطوّر اللاهوت، وأصبح أكثر تعقيدًا، واسْتُحْدِث نظام "الإكليروس"، وهم مجموعة من رجال الدين لا يعبد الإنسان المسيحي ربّه إلا بواسطتهم، قال تعالى: كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ [التوبة: ٣١].

٢- دخول الفلسفة على الدين: حيث أصبح المثقفون يسألون عن العلاقة بين الرب والمسيح، وعن الملائكة، وغير ذلك من أمور العقيدة النصرانية والغيبيات؛ ومن هنا دخلت الفلسفة في الديانة المسيحية، وقام بعض مفكري الكنيسة الذين لهم

---

(١) انظر: اليونان والرومان (٣٢-٢١٣).

(٢) إحياء التراث الجاهلي والوثني (٣/٤٢٠).

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة (١٢٥).

إلمام بالفلسفة – خاصة فلسفة أفلاطون – في تقديم هذه العقائد بصورة يتقبلها المثقفون؛ مما أدى إلى تعقيدها وتحريفها؛ فُحرِّفت ديانة عيسى – عليه السلام – إلى عقائد وطقوس سمّوها: "بالاعتقاد الحتمي"؛ أي: فرضوه على الناس فرضًا لا يقبل المناقشة ولا الجدال؛ فأصبحت فلسفة أفلاطون، وعقائد الهند وفارس الوثنية جزءًا أساسيًّا من "عقائد النصارى"، تتمثل في الصور الآتية:

- عقيدة التثليث المخالفة للتوحيد المبعوث به كلُّ الرسل.
- الرهبانية التي تخالف الفطرة الإنسانية، وخلافة الأرض؛ فتأمر بالانقطاع للتعبد، والتبتل، وتحريم الزواج، وهي العقيدة التي رسّخت فكرة: أن المرأة أصل الشر، ومنبع الخطيئة.
- الاجتهاد في العبادة حدّ تعذيب النفس؛ كنومهم في المستنقعات لأشهر، يقول تعالى: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٧].

وهناك عقائد أخرى توضح التأثر القوي بالوثنية، مثل: عقيدة التجسد، والاستحالة، والأسرار المقدسة، والمذبح، كلها تُعدُّ مركزًا لإقامة طقوسهم، وعبادة الصور والتماثيل(١).

ثالثًا. سياسيًّا:

ظهرت البابوية سنة (٩٥٠م)؛ وذلك بسبب تعاظم مكانة الكنيسة، فكان يجب أن يكون هناك شخص يتولّى إدارته، خاصة بعد ضعف الإمبراطورية الرومانية في الغرب وتقسيمها، كما أن لمدينة روما مكانةً عريقةً أضفت إلى أسقفها أهميةً كبيرةً؛ منها: ارتباطها بذكرى القديس: "بطرس"(٢)؛ لأنهم يزعمون أنه توفي بها، لذلك هي قاعدة المسيح لحكم العالم، ولما كان هو زعيم الحواريين، فأساقفة روما هم خلفاؤه، ويرثون زعامة العالم المسيحي، وأن طاعتهم واجبة، فاستغل هؤلاء ذلك لتحقيق المكانة والزعامة على بقية أسقفيات الغرب؛ فاعترفت بزعامتهم جميع أسقفيات الغرب، وذلك في القرن الخامس الميلادي، وتمّت لهم السيادة في عهد البابا: "غريغوري الأول"(٣).

ازدادت سلطة الكنيسة والبابا مع ضعف الإمبراطورية الرومانية وانهيارها، فكان على الرعايا الطاعة التامة، وإلا وُصِف المخالف بالهرطقة والكفر، ودكّته جيوش الكنيسة، وكان الباباوات يعزلون الأباطرة والملوك ويولونهم؛ فقد عُقِد المجمع الثالث عشر في "ليون" بفرنسا سنة (١٢٥٤م) بأمر من البابا: "أنو سنت الرابع" لعزل "فردريك" ملك فرنسا(٤).

رابعًا: تعليمًا:

---

(١) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي (٣٢، ٣٣).

(٢) تزعم الكنيسة: أن المسيح قال لبطرس كبير الحواريين: "أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة: ابن كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوَى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولًا في السماوات". إنجيل متى (١٦: ١٩، ٢٠).

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة (١٩٠-١٩٤).

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة (١٩٥).

أدركت الكنيسة أهمية التعليم، وأنه لو لم يكن تحت سيطرتها لفقدت هيبتها؛ ففرضت هيمنتها على التعليم في المدارس، واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس، كذلك الجامعات الأوروبية أصبحت تعتنق ما تريده الكنيسة، ولا تخالفها، وأخذت تفرض جهلها على العلوم؛ فهي تحارب من يقول بكروية الأرض ودورانها، تعترض على من يعالج أمراض الإنسان، وترى أن سبب المرض هو: الشيطان؛ حتى إنهم اعترضوا على التطعيم! كما أنها عائد على الكنيسة اعتبروا الكيمياء سحرًا! وكانت لا تعترف بغير معارفهم؛ لذلك قام رجال الكنيسة بعمليات القمع والاضطهاد للمخالفين، وقرّروا في المجمع "اللاتيراني" عام (١٢١٥م) استئصال كلِّ مَن يرى رأيًا مخالفًا للكنيسة، ولو كان في العلوم الطبيعية، وأقاموا "محاكم التفتيش" لتفعيل قرارهم بمطاردة المخالفين، واستخدموا فيها كلَّ أساليب القهر والتعذيب، وقصص حرق العلماء، وسجنهم مشهورة، كما سعوا إلى عدم قَبول النقاش في أمور العقيدة؛ فكان يصيح أحد وعاظهم عندما يريد قطع المناقشة في عقيدته؛ بالقول: "أنا مؤمن؛ لأن ذلك لا يتفق مع العقل"، وبسبب تلك الرقابة أصبح الفكر والعلم خامدًا[(١)].

خامسًا: اجتماعيًّا وأخلاقيًّا:

بعد أن أصبحت ثروات الدولة وعامة الناس تحت أيدي رجال الكنيسة؛ عمَّ الفساد، والانحطاط الخلقي، وتفشّت المعاصي بينهم، وزاد من ذلك: ضغط الباباوات على كهنتهم لسلب أموال الناس، وفرض الضرائب عليهم[(٢)].

كما قرّرت الكنيسة في المجمع الثاني عشر: أن المسيح قّلد كنيسةَ روما حقَّ منحِ الغفران، فأخذت الكنيسة تبيع صكوك الغفران التي تمنح مُشتريها المغفرةَ، وحقَّ دخول الفردوس[(٣)].

وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور حركة الإصلاح الديني التي قادها (مارتن لوثر) ضد الكنيسة، إذ كانت تلك الحركة تكافح تعاليم البابوية التي سماها تعاليم الشيطان، ولهذا، طالب بإلغاء سلطة البابا، وإلغاء صكوك الغفران وصكوك الحرمان[(٤)].

ثم جاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي؛ فشعر المسيحيون: بروتستانت وكاثوليك، بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح[(٥)].

مظاهر تأثير الكنيسة على الحضارة والثقافة الغربية:

ويمكن عرض مظاهر تأثير الوثنية على الثقافة الأوربية من خلال ما يأتي:

---

(١) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، (٦. ٩).

(٢) أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، (١٤ – ١٧).

(٣) تقول أجزاء من الصك: "ربنا – يسوع المسيح – يرحمك يا فلان، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضًا جميع الإفراط والخلايا والذنوب التي ارتكبتها، مهما كانت عظيمةً وفظيعةً... أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطأة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح". أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، (١٩).

(٤) تهافت العلمانية في الصحافة العربية (١٠٥).

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٤٣٠.

١- أدى ازدياد سلطة الكنيسة سلبًا على المجتمعات الأوروبية قاطبة، فدخلت في سلسلة من قرون الظلام، والتي امتدت من سنة (٤١٠م) إلى (١٢١٠م)؛ حيث أثر على الفكر والثقافة والعلم، وأصابها الانحطاط في مقابل ظهور الدين الذي أصبحت فيه الكنيسة، مصدر التعليم الوحيد، كما أنّ محاكم التفتيش التابعة لها أثارت موجة الكراهية ضد الأديان والأجناس الأخرى؛ فأثارت بذلك العنف والحروب الصليبية.

٢- تقبَّلَ الأوروبيون النصرانية، مع التمسك الشديد بالعقائد الوثنية.

٣- أدّى فساد رجال الكنيسة إلى قيام الثورات السلمية والعنيفة ضدّها.

٤- أدّت العقائد البدعية للكنيسة إلى ضعف الإيمان، وكراهية الدين ومعاداته، وإنكار الآخرة والحساب والعقاب، والجنة والنار، وكل الغيبيات، وأضعفت ثقة الناس بالدين؛ مما أدى إلى تزعزع الأخلاق، والقيم الدينية؛ فظهر بذلك عصر جديد، انحصرت فيه المسيحية بين جدران الكنيسة، وعلا من شأن الفلسفة الإغريقية الوثنية التي اصبحت نبراسًا للناس فيما بعد(١).

المبحث الثاني: الأسس الحديثة للثقافة الأوروبية المعاصرة

المطلب الأول: أثر الحركة الإصلاحية في الكنيسة والثورة الفرنسية

أولًا: الحركة الإصلاحية الكنسية:

احتفظت الكنيسة الغربية بسيطرتها على أوروبا حتى ظهور الإصلاحيين "البروتستانت"؛ إذ أدّى ظهورهم إلى انقسامات كبرى في "النصرانية"؛ حيث تسبّبت بقيام حروب طويلة بين "الكاثوليك" و"البروتستانت" على مختلف فِرَقهم؛ قُتِل فيها أعداد كبيرة من كلا الطرفين، وأدّت هذه الخلافات والحروب فيما بعد إلى هجرة الكثيرين داخل أوروبا وخارجها؛ فقد هاجر كثير من "البروتستانت" إلى البلاد الأمريكية الجديدة؛ ليجدوا الحرية الكاملة بممارسة ونشر مذهبهم(٢).

و"البروتستانتية" (protest): هي فرقة احتجّت على الكنيسة باسم الإنجيل والعقل، وهم يعترضون على كل أمر يخالف الكتاب وخلاص أنفسهم، ولا يتبعون إلا الإنجيل، وكلٌّ له الحق في فهمه وتفسيره(٣).

وسبب التسمية بـ: (protest) يعود إلى زمن قيام بعض أمراءِ أوروبا المعتنقين للمذهب الإصلاحي بالاعتراض في اجتماع " شبير" عام (١٥٢٦م) على حكم الإمبراطور الألماني بطرد مارتن لوثر، وإلغاء قرارات الإصلاحيين، واعتراضًا على ذلك أعلنوا مبدأً جديدًا يقول بأنه في الأمور الدينية، يختص التقرير بضمير كل شخص، وليس بأكثرية الأصوات؛ فسموا بـ"البروتستانت"(٤).

وقد ظهرت الدعوة الإصلاحية في حقبة ما يُسمى بالقرون الوسطى؛ حيث قَوِي سلطان الكنيسة، فكان البابا يفرض

---

(١) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي (٥-١٠).

(٢) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، (١٧).

(٣) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، (١٢١).

(٤) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم (١٥٩، ١٦٠).

أوامره على الإمبراطور الحاكم، وعلى الشعب على حدٍّ سواء، ولأجل هذه السلطة الكنسية تنافس الناس في الحصول على الوظائف الكهنوتية دون أن تكون لهم ميول دينية، فعاش رجال الدين حياةً بعيدةً عن التدين، همّهم الحصول على الامتيازات الاجتماعية والمادية؛ فانحطت الديانة، وأصبحت محصورةً في طقوس أشبه بالسحر، وإقامة التعاويذ، والخوف من لعنة الكهنة، والأرواح الشريرة.

وقد دعا كثير من المصلحين في ذلك الوقت إلى إقامة المجامع الكنسية لعرض مطالبهم لإصلاح أوضاع الكنيسة؛ فأقيمت المجامع الآتية: مجمع: "بيزا" (١٤٠٩م)، ومجمع: "كونستانس وبازل" الذي استمر منعقدًا من عام (١٤٣١م)، وحتى عام (١٤٤٩م)، فكانت جميع محاولات الإصلاحيين فيها فاشلة؛ لذلك قام بعضهم بثورات أجهضتها الكنيسة[١].

وفي مطلع القرن السادس عشر كان (الاغتراب) واضحًا عند الإصلاحيين الذين حاولوا جعل أوروبا أكثر حداثة؛ فأصبح هناك تركيز جديد حول النصوص الدينية، ومع انتشار الطباعة أصبح الجميع يقرأ النص الديني بدون مراسم دينية، ومقاربة النص بطريقة علمانية لغرض المعرف، مثل أيّ نصٍ حديث آخر[٢].

فالإصلاحيون يؤمنون بمنح الحق لأي أحد بالقيام بتفسير الكتاب المقدس، وقد خرج الكثير من المطالبين بالإصلاح الكنسي من داخل الكنيسة من الأساقفة والإكليروس، ومن خارجها من العلماء والحكام والشعوب، ورفضوا سلطة البابا ومطالبته بحصر اهتمامه بالسلطة الروحية فقط، وطالبوا بتحديد نظام صارم يسير عليه العاملون في الكنيسة للحد من سلطتهم وتلاعبهم، ورفضوا التسلسل الهرمي لرجال الكنيسة، وأن كل مؤمن عندهم هو رجل دين، وطالبوا بإلغاء صكوك الغفران التي سلبوا بواسطتها أموال الضعفاء والمحتاجين، كما أنهم لا يؤمنون بعقائد الكنيسة؛ كَسِرِّ الاعتراف.

وقام بهذه الدعوة الإصلاحية لاهوتيون من داخل الكنيسة، وكذلك الفلاحون والعمال وبعض القادة[٣].

ومن أبرز الإصلاحيين الغربيين الذين طالبوا بالحركة الاصلاحية:

١- "بيتر والدو": الذي طلب من رجال الدين ترجمة الإنجيل إلى لغة الشعب؛ فحكمت عليه الكنيسة في مجمع: "فيرونا" بالموت والهرطقة عام (١١٨٤م)[٤].

٢- "جون ويكلف" الإنجليزي (١٣٢٤م-١٣٨٤م): الذي قام بتأليف كتاب يدافع فيه عن الحكومة الإنجليزية، حينما رفض ملك إنجلترا دفع الجزية المستحقة للبابا عام (١٣٦٦م)، وقام بالمطالبة بكل الأمور التي يطالب بها الإصلاحيون، وحُكِم عليه فيما بعد بالهرطقة.

٣- "جون هوس" (يوحنا هوس): أستاذ اللاهوت في جامعة: "براغ" الذي أمرت الكنيسة بحرق كتبه، ومنها: كتاب: "ناموس المسيح"؛ حيث ذكر فيه: أن المسيحيين غير ملزمين بطاعة البابا، وأن الرحمة والمغفرة من الله، وأن ما يُسمى بالاعتراف:

---

(١) انظر: أضواء على الإصلاح الإنجيلي (١-٨).

(٢) تاريخ الأسطورة (١١٠).

(٣) انظر: أضواء على الإصلاح الإنجيلي (٥-٤٠).

(٤) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم (١٩).

خرافة، وحُكِم عليه في مجمع: "كونستانس" بالهرطقة[١].

٤- "مارتن لوثر" (١٤٨٣م-١٥٤٦م): دكتور اللاهوت الألماني، وأكبر الإصلاحيين الكنسيين في أوروبا، هاله الاستغلال والاضطهاد الكبير الذي يعانيه رعايا الكنيسة منها؛ كضربها للفرائض، وسجن وتعذيب المعارضين، كما نفى بعض المعتقدات التي اعتبرها مبتدعةً، وليست من أصل الديانة؛ كالعزوبة، والكهنوت، ووضع الصور والتماثيل في الكنائس.

كما قام "مارتن" بترجمة الإنجيل إلى اللغة الألمانية معارضًا بذلك الكنيسة؛ فواجه معارضةً كبيرةً من قبل الحكومة والكنيسة؛ فحكمت عليه بالهرطقة بعد انتقاده لها، وتعليقه اعتراضاته الخمسة والتسعين على بيع الكنيسة للصكوك، وكان "لوثر" يؤثر السلام على الثورات؛ فلم تحصل بينه وبين الحكومة والكنيسة أي مواجهات[٢].

"زوينجلي" المصلح السويسري (١٤٨٤م-١٥٣١م): كان واعظًا في كنيسة القديسة: "مريم" التي يزورها عدد كبير من الناس، تيمُّنًا بوجود أيقونة عجيبة[٣] فيها؛ فكان يعظ الناس بعدم السجود للأيقونات، ولا زيارة الأماكن المقدسة، وأن الوسيط الوحيد هو المسيح، ثم اندفع بعد ذلك في حملته الإصلاحية، وبدأ يعارض بيع صكوك الغفران، ويطالب بحق الزواج لرجال الكنيسة، والتبشير بالإنجيل ونشره، كما أقدم "زوينجلي" على الزواج!

ووضع الإصلاحيون تنظيمًا جديدًا للكنيسة؛ أُلغي بموجبه خدمة القداس، وأدخلوا اللغة المحلية، وتحوّلت أديرة الرهبان إلى مراكز خيرية، وواجه، "زوينجلي" الكاثوليك في معركة: "كابل" التي انتهت بمقتله.

و"جون كالفن" الذي وُلد بفرنسا عام (١٥٠٩م-١٥٦٤م): حيث ألّف كتاب: "تأسيس الديانة المسيحية"، وعرض فيه فكره الإصلاحي، وكان من أهم مطالبه هو: انفصال الكنيسة عن الحكومة التي تستخدمها الكنيسة لمحاربة وقتل البروتستانت، وكل مَن يخالفها، وليتمكنوا من العيش بحرية!، ويعدُّ مذهبه الأكثر انتشارًا في الوقت الحاضر في أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية[٤].

ورغم أن الحركة الإصلاحية حركة دينية، إلا أنها كانت تتخذ صبغة (علمانية)؛ فكان "لوثر" من أوائل الأوروبيين المدافعين عن فصل الكنيسة عن الدولة؛ وقد نبع ذلك مِن: مقته لأساليب الإكراه التي تتبعها الكنيسة الكاثوليكية التي استخدمت الدولة في فرضها لعقيدتها ومبادئها![٥].

ثانيًا: الثورة الفرنسية:

عمَّ الظلم المجتمعات الأوروبية الإقطاعية؛ حيث أصبحت الأموال والسلطة بيد ثلاث فئات من الناس هم:

---

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، (١٢١ – ١٦٣).

(٢) انظر: أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير (٥-٨)، وأضواء على الإصلاح الإنجيلي (٢٥ - ٤٠).

(٣) أيقونة، والجمع: أيقونات: وهي صورة، أو تمثال مُصغَّر لشخصيّة دينيّة يقصد بها التَّبرُّك. انظر: معجم اللغة العربية المعاصر (١٤٤).

(٤) انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة (٤٢-٥٣).

(٥) النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام (٨٣).

- **نبلاء أوروبا وملوكها**: الذين تحكّموا في الأراضي والفلاحين، ولم يكن يهمهم إلا أن يأتوا بالضرائب آخر العام.
- **الكنيسة ورجالها**: الذين زاد طغيانهم وظلمهم عن الحد؛ حتى ظهرت الحركات الإصلاحية داخل الكنيسة النصرانية، وبسببهم ضعفت الكنيسة، وتم تقسيمها إلى مذاهب كثيرة، وتحطّمت بذلك الوحدة المسيحية.
- **الطبقة الوسطى** "البرجوازيون": الذين يملكون الأموال، وهم طلائع الرأسمالية؛ فقد كانت فرنسا تُعاني الفساد السياسي والاقتصادي؛ حيث قامت الحكومة بزيادة الضرائب على الشعب الذي يعاني أساسًا من المجاعة والبؤس، الأمر الذي أدى إلى اندلاع الثورة بين فئة رجال الدين والأشراف من جهة وبين الشعب بفئاته المستضعفة من الفلاحين والعمال وبعض القساوسة من جهة أخرى؛ من آراء ومبادئ (جان جاك روسو) وغيره من الفلاسفة.

ونتيجة لذلك فقد ظهر:

١- أحدثت الحركات الإصلاحية والثورات الاجتماعية تغيُّراتٍ دينيةً واجتماعيةً وسياسيةً كبيرةً؛ فقد طالبت الثورة الفرنسية في بداياتها بحقوق كانت ممنوعةً؛ كحق المساواة بين الناس، وأن يملك الإنسان حقَّ التصرف في أمواله؛ فقام الثوريون بمصادرة أموال الكنيسة، وحل الجمعيات الدينية، بل حاربوا الدين علنًا، ونجحت الثورة في فرنسا، وقامت الثورات في جميع أنحاء أوروبا، وهي في حقيقتها ثورات ضد الدين، ولم تكن ضدّ مظالم الكنيسة فقط(١).

٢- ظهور حرية التدين، بدلًا من متابعة الكنيسة الكاثوليكية، واتباع الحرية الشخصية، وعدم التقيُّد بالأخلاق الدينية.

٣- قيام دولة غير دينية تحكم باسم الشعب.

وبذلك انتشرت في المجتمع الغربي مشاعر الكراهية ومعاداة الدين، وظهور الإلحاد في ذلك الوقت.

المطلب الثاني: أثر الحركات العلمية والفلسفية الحديثة

كان العلم مرتبطًا بالكنيسة ورجالها؛ مما أدى إلى انتشار الأمية والجهل بين الناس، كما أن علوم الكنيسة كانت موثقةً باللغة "اللاتينية"؛ وهي لغة لا يستخدمها الناس، ولا يفهمونها، وكانت الكنيسة قد أخذت بنظريات الفلاسفة: "بطليموس"، و"أوغستين"، و"توما الأكويني"، وجعلتها أصولًا للديانة المسيحية لا يجب أن يتطرق إليها الشك، كما كانت تحوي معلومات تفصيلية بتواريخها عن تاريخ نشأة الكون، وتحديد نهاية العالم، وكان طبها يقتصر على الشعوذة، وطرد الشياطين، ثم ظهرت الحركات التجديدية في نواحٍ عدة من الحياة الأوروبية يمكن حصرها على النحو الآتي:

أولًا: الحركة العلمية: في القرن السادس عشر أدّى ظهور النظريات القائمة على العلم والتجربة إلى نقض خرافات الكنيسة، ومن أهمها: نظرية: "كوبرنيكوس"، وكتابه: "حركة الأجرام السماوية" عام (١٥٤٠م) كان يشكّل وضعًا مقلقًا في نظر الكنيسة، بينما كان يرى أنه نشاط ديني مليء بالرهبة(٢)، كما صنع "جاليليو" المرقاب عام (١٥٩٧م) الذي تراجع عن رأيه بدوران الأرض؛ لئلّا تحرقه الكنيسة التي تُؤمن بثبات الأرض، وأنها مركز الكون، وذلك لتجسُّد المسيح فيها برأيهم.

وفي القرن الثامن عشر: ظهرت نظرية: "الجاذبية" لإسحاق نيوتن، والتي قلبت موازين الكنيسة؛ حيث تدور حول إمكانية

(١) انظر: روح الثورات والثورة الفرنسية (٨١-١٦٩).

(٢) تاريخ الأسطورة (١١١).

تفسير ظواهر الطبيعة بربط بعضها ببعض دون حاجة إلى تدخل قوى خارجية عنها، وقد حاربت الكنيسة هذه النظرية، وقالت: إن الأشياء لا تعمل بذاتها، ولكن تسير بعناية الله، ولأنها عملية رياضية لم تستطع الكنيسة الوقوف في وجهها، وكانت إثباتًا لصحة النظريات السابقة(١).

ثم ظهرت نظرية: "داروين": "أصل الأنواع" عام (١٨٥٩م)، وهي تدور حول تطور الحياة في الكائنات الحية من السهولة إلى التعقيد، والتدرج من الأحط إلى الأرقى، وأن الفروق الخَلْقِيَة داخل النوع الواحد تنتج أنواعًا جديدةً مع مرور الوقت؛ فهو يفترض أن أصل الكائنات ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة، وحسب قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب، نمت الأنواع التي تكيّفت مع الطبيعة، وهلكت الأخرى، فالحياة إذًا تقوم على قانون ميكانيكي(٢).

لذلك أيدوا داروين في نظرية التطور والارتقاء وبذلوا كل دعاية ممكنة لترويج مذهبه الفاسد، لأنه يحدث بلبلة ضد الأديان؛ كذلك أيدوا دعاة القومية العربية مع أنها في الواقع مؤسسة نصرانية كما سيجيء، ومع أنها كذلك تخالف بعض مبادئهم ضد الأمميين، لكنها لما كان ترويجها يحطم روح الدين في نفوس أهلها ويؤدي إلى محاربة الأديان قام الماسون بالترويج والدعاية لها(٣).

ووصف الإلحاد يشمل كل مَنْ لم يؤمن بالله تعالى، ويزعم أن الكون وُجِدَ بذاته في الإزل نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق الصدفة ودون تحديد وقت لها, واعتقاد أن ما وصل إليه الإنسان منذ أن وُجِدَ وعلى امتداد التاريخ من أحوال في كل شئونه إنما وُجِدَ عن طريق التطور, لا أن هناك قوة إلهية تدبره وتتصرف فيه"(٤).

وقد طوّرت الثورة العلمية بناءً جديدًا من المعرفة، وأوجدت اتجاهًا فكريًّا جديدًا، وأوجبت نظرةً ميتافيزيقيةً مبتكرةً، وكان ذلك بمثابة قوة دفع عملت على توجيه تيارات الحياة عمومًا في الغرب وحضارته الحديثة؛ فتحدّى العلم الحديث تعاليم الدين المسيحي، وأصبح ركنًا هامًّا في مناهج التعليم في المدارس على اختلاف مراحلها، وخلق جوًّا فكريًّا أشار إليه الكُتّاب والباحثون، كما أوجد مناهج لدراسة المجتمع ومشكلاته(٥).

ثانيًا: ظهور الاتجاهات الفكرية والفلسفية الحديثة:

ظهرت كأثر لثورة العلم الحديثة في القرن السابع عشر: اتجاهات ونزعات فكرية مبتكرة؛ فظهر أصحاب "المدرسة العقلية"، وطالبوا بتقديس العقل، فقام "ديكارت" (١٥٩٦م–١٦٥٠م) بتطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة؛ فالكون عنده لا حياة فيه؛ لأن العالم المادي هامد وميت، وليس في وسعه أن يعطي معلوماتٍ حول الإله؛ فالشيء الوحيد الحي في الكون هو: العقل البشري، ونحَّى أصحاب هذه المدرسة الدينَ عن مجال بحثهم، ففصلوا بين العلم البشري والوحي الإلهي؛ أي: لم يجرء أصحاب هذه الفلسفة على إنكار الدين! ثم أتى "سبينوزا" – وكان أكثر جرأةً –، وطبّق المنهج العقلي على الكتاب المقدس،

---

(١) ظاهرة العلم الحديث (٣٠–٦٠)، الظاهرة الاجتماعية (١٠).

(٢) انظر: دارون ونظرية التطور (١٧–٢٠).

(٣) أضواء على المذاهب الهدامة (٦/٧٨).

(٤) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها (٢/ ١٠٠٣).

(٥) انظر: ظاهرة العلم الحديث (٦).

وتبعَه على ذلك: "جون لوك"، و"باسكال".

وقد تعرّض هؤلاء العلماء لاضطهاد الكنيسة التي قامت بحرق كتبهم في القرن الثامن عشر، وهو ما يُسمى بعصر: "التنوير"، وشيوع المذهب العقلي الطبيعي، كما ظهرت روح الشك، وانتشرت الفلسفات التي تُمجد العقل، وأنه هو الحكَم الوحيد، بل هو كل شيء، وما عداه خرافة، فكذّبوا الغيبيات والمعجزات، ويختلف هؤلاء الفلاسفة عن فلاسفة القرن السابق بإنكارهم للدين، فقد نادى الفلاسفة ببطلان الدين وعقائده، فكان لا بدّ من إيجاد الإله البديل؛ فنادوا بتمجيد: "الطبيعة"، وبذلك تحرّروا من كل الْتزامات الكنيسة!

ومن علماء هذا المذهب: "روسو"، و" فولتير" الذي يؤمن بأن دين أهل الفكر دين رائع، خال من الخرافات والأساطير المتناقضة، وخالٍ من العقائد المهينة للعقل والطبيعة.

كما ظهر في هذا العصر: أصحاب المذهب المادي الإلحادي الذي نفى وجود الله بالكلية؛ ومنهم: "نيتشه" الفيلسوف الذي دعَا إلى عبادة الإنسان قائلًا: (إن الإله قد مات، وإن الإنسان الأعلى ينبغي أن يَحُلَّ مَحِلَّه، وفلسفة هذا العصر هي التي وضعت الأساس لتقويض الدين في النفوس؛ فنقض العقلُ نظرياتِ الكنيسة، وتعارض مع الرهبانية، ونقضَ مبدأَ التثليث في العقيدة النصرانية، وممَّن انتقدها: "فولتير"، وانتقد أيضًا تجسيم الإله والصور والخطيئة الأولى، وسَخر من شعائر المسيحية، وطقوسها، وطالب بفصل الدين عن الدولة، وأن يخضع الرهبان لحكم القضاة، وكان ردة فعل الكنيسة: أن كفرته ولعنته! وكان الصراع في هذا القرن: بين الكنيسة، وطبقة المثقفين)[1]، والفلسفة لا تعرف أمورًا مقدسةً؛ فمسألة الدين والإله مسألة مفتوحة تمامًا!

كما كان منظّرو الحداثة والتنوير يتحدثون عن التسامح، ولكنهم في الحقيقة ليسُوا كذلك؛ فقد كانوا ينظرون إلى اليهود نظرة كراهية؛ فقد أخبر "فولتير": (بأنهم أمة جاهلة تمامًا)، كما أسمى هو لباخ اليهود: بأعداء الجنس البشري!

وهكذا توالت الأوصاف السيئة من قبل: "كانت"، و"هيجل"، وحتى "ماركس" اليهودي؛ حيث قال: (إن اليهود كانوا مسؤولين عن الرأسمالية)[2].

ثالثًا: الثورة في الآداب والفنون:

كانت العلوم الأوروبية في ذلك المجال مرتبطةً بفكر اليونان وأشعارهم وملاحمهم المليئة بالشرك والوثنيات؛ فكانت هذه المظاهر التي ارتبطت بفكر: "أرسطو" ومحاكماته هي: الهروب الأول من سيطرة الكنيسة؛ فظهر شِعْر "دانتي" عام (١٣٢١م)، وهو من أكبر أدباء عصر النهضة، ويبرز في ملحمته: تأثره بأشعار العرب وحضارتهم، وبرز بعده: "دافنشي"، و"مايكل أنجلو"، ويظهر تأثر أصحاب "النزعة الإنسانية" في هذا العصر بالحضارة الإسلامية؛ حيث انتشرت معرفة بعض الأباطرة للغة العربية وإرسال أبنائهم لتعلمها.

وكان المذهب الكلاسيكي هو الطاغي على الفنون والآداب الغربية وملاحمها وأشعارها في ذلك الوقت؛ وهو ما ينتهي

---

(١) الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام (٨٨).

(٢) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين (١١).

بانتصار الحق والفضيلة، ثم تحوّلت إلى الرومانسية؛ وهي على عكس الكلاسيكية التي تسعى للإشباع العاطفي الذي يجعل الذات محور العالم.

وقد ظهر الشعر الحداثي الإنجليزي الحر، وظهرت "البنيوية" التي نادى بها: "فرديناند دي ساسيور": وهي منهج فكري نقدي مادي ملحد غامض، يذهب إلى أن كلَّ ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تُشكل بنيةً لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها، ويتم ذلك دون تدخل فكر المحلل، أو عقيدته الخاصة، ونقطة الارتكاز في هذا المنهج هي: الوثيقة، فالبنية، لا الإطار، هي محل الدراسة، والبنية تكفي بذاتها، ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي عنصر من العناصر الغريبة عنها؛ فالمنهج البنيوي يبدأ بالنص، وينتهي به مستقلًّا عن شتّى السياقات بما فيها مؤلفه، وهنا تدخل نظرية: "موت المؤلف"[(١)].

وفي مجال النقد الأدبي؛ فإن الانفعال أو الأحكام الوجدانية عاجزة عن تحقيق ما تنجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، ولذا يجب فحصه في ذاته من أجل مضمونه وسياقه وترابطه العضوي، و"البنيوية" بهذه المثابة تجد أساسَها في الفلسفة الوضعية لدى: "كونت"، وهي فلسفة لا تؤمن إلا بالظواهر الحسيّة، ومن هنا كانت خطورتها! والنتيجة: أن الأدب كان تعبيرًا عن الشعور بتفاهة الحياة، وفقدان الإيمان، كما بيّن بوضوح التمزق الذي تُعانيه النفسية الغربية في تلك العصور وحتى اليوم[(٢)].

رابعًا: نظريات علم النفس:

بعد تزعزع الدين والقيم في قلوب الناس ظهر الشعور بالضياع بين الدين المحرّف والنظريات الجديدة من الفكر الهزيل التي نسبتهم للحيوانية، فبدأت تجتاحهم الأمراض النفسية، وظهرت نظريات علم النفس؛ كنظرية: "فرويد": "التحليل النفسي" التي يتضح فيها تأثره بنظرية: "داروين"؛ حيث فسّر السلوك الإنساني بدوافع حيوانية، وجعل الدافع الجنسي هو دافعه الوحيد، ويظل يتعامل مع الآخرين بناءً على هذا الدافع لوحده، والمثل العليَا كلها نابعة من هذا الدافع أيضًا؛ فالإنسان عند "فرويد" ليس حيوانًا فحسب، بل هو حيوان جنسي، وراء كل حركة منه شهوة جنسية ظاهرة أو خفية[(٣)]، كما يرى أن الدين هو الشعور بالندم الذي اكتسبوه من الأسرة البدائية حين قتل الأبناء أباهم؛ فكان الدين عبادةً للأب، ثم عبادة الطوطم، ثم عبادة القوى الخفية في صورة الدين السماوي، وهو في كل الأطوار ينبع من عقدة: "أوديب".

خامسًا: نظريات علم الاجتماع:

ومن أهمها: نظرية: "إيميل دوركايم" التي تقول: إن الإنسان حيوان خاضع – الجبرية الاجتماعية –، أو تحت قهر اجتماعي، يفرضه عليه العقل الجمعي للقطيع البشري، ويستمد شواهده المؤيدة من عالم الحيوان، ومجتمع الحيوان، و"دوركايم" درس الإنسان كما يدرس الحيوان، وينفي كون الدين والأسرة والزواج أمورًا فطريةً في الإنسان، بل هي تابعة للعقل الجمعي ذي السطوة على الأفراد، وهذا العقل دائم التغير والتطور والتشكل؛ أي: إذا أمر العقل الجمعي بتلك الأمور فلتكن، وإن قال: لا دين، ولا أسرة، ولا زواج يكون أمرًا قهريًّا؛ فينسلخ الناس عن دينهم وأخلاقهم[(٤)].

(١) شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة (٨٠).

(٢) انظر: المعجم الفلسفي، (١١٦، ١١٧).

(٣) انظر: النظرية الاجتماعية (١٣)، والموجز في التحليل النفسي (٢٢-٢٤).

(٤) قواعد المنهج في علم الاجتماع (٤٢-٢٢٢).

كما تظهر آثار نظرية: التطور على المنهج العقلي عند: "أوجست كونت": الذي يرى بالتطور من الخرافة إلى الدين، ثم إلى الوضعية، وعلى نظرية: تطور المجتمع؛ حيث يرى "هوبز": أنّ المجتمعات تتطور من الوحشية الغابية إلى الحالة الاجتماعية، و"التاريخ" هو صاحب النظرية الاستبدادية "الدكتاتورية"؛ فهو يقول بوجوب قوة عليًا قاهرة، تجبر الناس على العمل بالعقد الاجتماعي، وعلى نظرية: "العقد الاجتماعي" عند: "روسو" الذي يرى بتطور المجتمع من الحالة الطبيعية إلى الحالة الفوضوية؛ مما استوجب وجود عقد اجتماعي بين الأفراد؛ حيث يتنازل بواسطته بعضهم لبعض عن شيء من الحقوق لتحقيق الأمن والسلامة للجميع، وهو ينكر وجود الدين، بل عدَّه عاملَ إعاقةٍ للرجوع للحالة الطبيعية السويّة، وكان "روسو" يتهجم على الدين، ويطالب بعزله عن المجتمع.

وهناك نظريات أخرى تقول بالتطور؛ كنظرية: "هيجل" في التطور التاريخي؛ حتى بلغ القمة في الدولة البروسية التي كان يعيش في عصرها، وأن الدولة ليست عبارة عن عقد اجتماعي؛ وإنما هي كائن طبيعي، وتطوّرت منها نظرية: "ماكس فيبر، الكاريزما"، وقد تمسحت هذه النظريات بالدين، وجعلت لهؤلاء الحكام سلطةً سماويةً، قدّست وباركت طغيانهم.

وكانت النتيجة: أنّ كل شيء يتطور، ولا شيء ثابت حتى الأخلاق والقيم؛ حتى أصبح التطور سمةً لهذه الحضارة؛ وعمّت بسبب ذلك: الفوضى الأخلاقية، والقلق، والذعر، والحيرة، والضياع!

وأخرجت النظريات الاستبدادية فكرة القومية، والوطنية، والدكتاتورية، والتي ظهرت فعلًا في الأمة الألمانية زمن: "بسمارك"، و"هتلر"(١).

المطلب الثالث: النظريات الحديثة في السياسية والاقتصاد

أولًا: العلمانية: هي حركة اجتماعية، تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدَها، وهي بمعنى: الروح الدنيوية التي ترفض أيَّ شكل للإيمان والعبادة، أو هي إبعاد كل ما هو ديني عن الحكومة والتعليم والتربية والأخلاق(٢)؛ إنها فصل الدين عن الحياة!

وأول مَن تبنى دعوى العلمانية، وطالب بفصل الدين هو: "ميكافيللي" في كتابه: "الأمير" الذي نشره عام (١٥١٣م)؛ فقد ذكر الفصل بين السياسة والدين والأخلاق، وأن الدولة قوة سياسية بحتة، وأن الحاكم ليس عليه الالتزام بالأخلاق، وقصرها على الشعب فقط، وأن الغاية تُبرر الوسيلة، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية لا مانع من سلوك أيّ سبيل يوصل إليها حتى لو وصف بأنه غير أخلاقي، ومتنافٍ مع الدين!(٣)

وقد كان هذا الكتاب كالإنجيل لزعماء أوروبا؛ فهو موضوع أطروحة الدكتوراه لـ"موسوليني"، وكان "هتلر" دائم القراءة فيه، لأن "لينين"، و"ستالين" تتلمذا على "ميكافيللي"؛ حيث يقول "لينين": "يجب على المناضل الشيوعي الحق أن يتمّرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل؛ فالكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية! ويؤمن "إنجلز" – مؤسس الشيوعية – بأن الأخلاق التي نؤمن بها هي: كل عمل يُؤدي إلى انتصار مبادئنا، مهما كان هذا العمل منافيًا للأخلاق المعمول بها.

---

(١) انظر: تاريخ الأسطورة (١٠٤–١٢٠).

(٢) دائرة المعارف البريطانية، مادة: (secularism).

(٣) الأمير (٣٥).

وقد ظهرت هذه النظرية بقوة في القرن التاسع عشر الذي انتفض فيه الغرب على الدين والأخلاق، وارتبطت السياسة بالاقتصاد؛ فازدادت بعدًا عن الدين.

ثم ظهرت الصناعة، فتحول الناس من الزراعة إلى الصناعة، وانهار الإقطاع، وبسبب ما عانته الشعوب من ويلات الحروب الطاحنة بين الطوائف الدينية، لا سيما بين الكاثوليك والبروتستانت، وبسبب طغيان الكنيسة ورجالها؛ كانت الحرية التي طولب بها لا دينية، وكان الأساس الذي يراد بناء المجتمع الجديد عليه لا دينيًّا كذلك، فاستلهم الباحثون من التراث الفلسفي الإغريقي، ومن كتابات "سبينوزا"، و"جون لوك"، والموسوعيين الفرنسيين فكرة صياغة المجتمع وَفْق قوالب وتنظيمات علمانية[١].

ثانيًا: الرأسمالية: هي: نظام اقتصادي تكون فيه وسائل الإنتاج بصورة عامة مملوكةً ملكيةً خاصةً، أو مملوكةً لشركات، وحيث يكون التوزيع، والإنتاج، وتحديد الأسعار محكومًا بالسوق الحر والعرض والطلب، ويحق للملاك أن يحتفظوا بالأرباح، أو يعيدوا استثمارها[٢]؛ أي: هو نظام يقوم على الملكية الفردية والحرية الاقتصادية، والثورة على الإقطاع والكنيسة، وقد وضع "سميث" أصول المذهب الرَّأسماليّ[٣].

وقد ظهرت الرأسمالية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، بعد حكم الملوك الذي حلّ محلّه الحكومات المنتخبة من قبل الشعب، وكانت جميع الثورات الغربية الفرنسية والإنجليزية والأمريكية موجهةً ضدّ السلطة التامة للملوك والكنيسة، واستغلالهم للعامل والفلاح، ولم يكن هناك حرية سياسية، أو حرية كلام، أو عبادة؛ فقامت تلك الثورات لإحلال الديموقراطية بدلًا من الدكتاتورية المستبدة، وفي هذا الوقت من ضعف الكنيسة والإقطاع ظهرت طبقة أصحاب رؤوس الأموال والمصانع، وحدث انقلاب صناعي؛ حيث تحوّل الناس من البيئة الزراعية إلى البيئة الصناعية، وأخذت الرأسمالية تسير وَفْق نظريات ذات نزعة "ميكافيلية"؛ فوضعت العامل الأول في نشاط الإنسان: المصلحة الشخصية؛ فالأنانية تكمن وراء كل نشاط للجنس الإنساني، وهي: صفات جيدة عنده، بل هي عوامل تحمل الخير للمجتمع.

وظهرت نظريات في حقوق الإنسان؛ لتضمن بعض الحقوق للناس، ونظريات أخرى ثارت عليها، فحرّمت الإحسان؛ كنظرية "مالتس" الذي انتقد برنامج المعونات الذي تقدمه الحكومة الإنجليزية للفقراء؛ وذلك لأنهم طبقة غير منتجة، وفي ذلك زيادة لعدد السكان دون زيادة غلة الأرض، ومنهم من يرى بأن الربا عماد الرأسمالية؛ مما جعل الاقتصاد العالمي المعاصر يقوم على الربا، وأصبح المرابون يتحكمون في الدول، أما الشعوب؛ فقد عانت أقصى درجات الفقر والحاجة[٤].

لقد نجحت الرأسمالية بقدر ما أخذت من ثوابت الفطرة التي أقرّها الإسلام، وانتكست بقدر ما ابتعدت عن ثوابت الفطرة التي حرَّمها الإسلام؛ من: احتكار، وربًا، ومقامرة، وغرر، وغبن، واستغلال، وأكل المال بالباطل؛ ليصبح المال دُولَةً بين الأغنياء باسم: الحريَّة الاقتصادية التي أطلق لها العنان بلا قيود؛ فالحريَّة المطلقة مفسدة مطلقة، وإطلاق الغرائز الإنسانية بلا

(١) أنظر: الأمير (٩-١٦)، والفلسفة الحديثة (٢٥).
(٢) النظام الاقتصاديّ مدخل ومنهاج (٣٥).
(٣) الإسلام والمذاهب الاقتصاديَّة المعاصرة (٣٠).
(٤) انظر: الأنظمة الاقتصادية في العالم، (٢٠ – ٣٥).

قيود، وذلك انحدار من الإنسانيّة للبهيميّة[١].

ثالثًا: الديموقراطية: وتعتمد الدول الرأسمالية على هذه السياسة؛ وتَعني: أن يحكم الناس أنفسهم بصورة أفضل من الملوك، ورجال الدين، وأن الدولة عليها فقط حماية الأرواح، والممتلكات، والبلاد، وفي أغلب الأحوال توفر ظروفَ حياة أفضل على الأقل حين يتعلق الأمر بالتعليم، والعناية الصحية، والحماية القانونية[٢]، ولكن هذه النظرية أدّت إلى تحقيق المنفعة لفئة الرأسماليين أصحاب الصناعات، بينما كان العمال يتلقون أجورًا يسيرةً مقابل ساعات طويلة من العمل.

رابعًا: الشيوعية: ظهرت الشيوعية الماركسية في القرن التاسع عشر الميلادي، وقامت الماركسية على مَنع الملكية الفردية، وسيطرة الدولة الكاملة على وسائل وأدوات الإنتاج، وقد وضع هذه النظرية: "كارل ماركس" بمساعدة صديقه: "فردريك إنجلز"، وقام بتطبيقها عمليًّا: "لينين"، و"ستالين" في روسيا، وتستمد الماركسية تفسيرها المادي للتاريخ من فكرة التطوّر الحتمي[٣]. ويتضح فكر التطور لدى الشيوعية في أنها ترى أن لكلِّ عصر دينه وأخلاقه وتقاليده، والعيب في أن يستمرّ الناس في العصور المتقدمة بالالتزام بنفس دين وأخلاق العصر السابق[٤].

ويرى الشيوعيون أن أصل الشر في الملكية الفردية؛ فهم يؤمنون بأن تكون كل وسائل الإنتاج في يد الدولة. واعتبر "ماركس" الاقتصاد ظاهرةً يُمكن دراستها؛ كالعلوم الطبيعية، وظهر ذلك في: نظريته التاريخية في تنازع البقاء بين الطبقات. والأخلاق في الماركسية يستمدها الناس من واقع الحياة العملية؛ أي: من واقع علاقاتهم الاقتصادية، فالظروف الاقتصادية لحياتهم هي منشأ الحقوق التي لديهم، ويَرون أن الدين وليد البيئة الزراعية، وأن الإلحاد هو عقيدة البيئة الصناعية؛ فالإنسان الذي يعيش بأخلاق الإنسان الزراعي في عصر الصناعة هو إنسان رجعي[٥].

والاشتراكية: هي شكل سياسي لمجتمع اشتراكي قائم على الملكية العامة لوسائل الإنتاج، ومخطط ومتحرر من الاستغلال، وقد نشأت لما كانت الديموقراطية مجرّد أوهام؛ حيث طالب هؤلاء العمال بأنظمة جماعية بدلًا عن النظام الفردي؛ فظهرت الاشتراكية ومال إليها كثير من العمال والفلاحين والمثقفين، وكانوا ضدّ الرأسمالية، فكانت الاشتراكية ردَّ فعل للرأسمالية؛ فهي ترى بمبدأ سيادة الطبقة العاملة ـ البروليتاريا ـ والسلطة في يد الحزب الشيوعي الذي يعتبر نفسَه تجسيدًا لإرادة العمال والفلاحين؛ فله السلطة في كل شيء؛ في: السياسات الخارجية والداخلية، وقيادة كل جهاز في الدولة والإشراف عليه، ومثال الدولة الاشتراكية: "روسيا"، و"الصين"[٦].

وكانت نتيجة هذا: قيام صراع بين أصحاب النظريتين؛ كل منهما يرى بأنه أحق بالبقاء؛ فالدول الرأسمالية ترى أن الدول الشيوعية ليست ديموقراطيةً؛ لأن السلطة محصورة في حزب واحد، والدول الشيوعية ترى أن الدول الرأسمالية ليست ديموقراطيةً؛

(١) انظر: الاقتصاد الإسلاميّ مدخل ومنهج (٤٠، ٤١).
(٢) الديموقراطية (٢١).
(٣) الشيوعية والأديان (٢٩)، وانظر: الشيوعية (٩-١٤).
(٤) انظر: الأنظمة الاقتصادية في العالم (٢٠ – ٤٣).
(٥) انظر: الشيوعية (٥٣-٥٩).
(٦) انظر: الشيوعية (٢٩-٦٠).

لأن الحكم فيها في يد الطبقة الثرية، وانهيار الشيوعية دليل على فشلها، "وهكذا يتراجع الفكر المادي الشيوعي عن تطبيقه لعدم واقعيته، وتخلفه عن متابعة التطور الصناعي والعلمي، وتسببه في تدهور الوضع الاقتصادي، وهدم العلاقات الاجتماعية، وإشاعة البؤس والحرمان والظلم والفساد، ومصادمة الفطرة، ومصادرة الحريات، ومحاربة الأديان"(١)، كذلك لم يكن تطبيق هذه النظريات على أرض الواقع أمرًا سهلًا.

لقد كانت هذه الحقبة حقبةً عنيفةً؛ شأنها شأن أي حقبة يحدث فيها تحوّل اجتماعي بعيد المدى؛ فقد حدثت حروب مدمرة، وثورات، وصراع ديني طوال ثلاثمائة عام(٢).

المبحث الثالث: الواقع الغربي المعاصر

المطلب الأول: الواقع المعاصر للأمم الغربية اليوم

وجّهت تلك النظريات العلمية والفلسفات الاجتماعية والنفسية الحديثة فكر وحياة الإنسان في المجتمعات الغربية؛ فظهرت بمرور الوقت تحوّلات اجتماعية، ومشاكل سببتها تلك الأفكار الثورية التي قامت ببناء المجتمع على أسس مادية لا إنسانية، ومن مظاهر تلك التحولات:

أولًا: الفردانية: التي طغت على المجتمع الغربي، (وهي من نتائج الرأسمالية واللّيبرالية)، وتَعني: بأن الحرية والحقوق الفردية تفوق أهميتها على أيّ قيمةٍ أخرى، فالمهم تحقيق المرء لأهدافه ورغباته، واستقلاله الذاتي، واعتماده على نفسه، وأن عليه محاربة التأثيرات الخارجية على مصالحة من المجتمع، أو مؤسّسات الدولة.

وبدأ عصر الفردانية مع بدايات المرحلة التكنولوجية للمجتمعات الصناعية كصورة من صور الوعي الأوروبي، وإحدى نتائج الفكر الليبرالي؛ فهناك اعتقاد سائد في الغرب؛ بأن أسباب المأساة الحادة للإنسان تكمن في التعارض ما بين الوجود الفردي والمجتمع، ويرى بعض المفكرين أن عصر النهضة قوّض أركان النظام الاجتماعي التقليدي، الذي كان سائدًا في العصور الوسطى، وجاء على إثره بزمن الفرد الحديث، وأنّ ذلك مرتبط بمظاهر الحداثة الاجتماعية التي رافقت الانفتاح الاقتصادي الرأسمالي؛ ففي البيئة الغربية تسود الفردانية بصورة مطلقة، وقد عملت اللّيبرالية على تقوية ذلك، مع التسليم بأن المجتمعات العربية اليوم تشهد تحوّلًا تدريجيًّا نحو الفردانية، إلا أن الروابط لا تزال قويةً بين الفرد والمجتمع، وهذا الترابط الذي يُنظر إليه على أنه واجب اجتماعي لا يحظى بهذه النظرة نفسها في المجتمعات الغربية، بل ينظر إليه كعقبة تحول دون الاستمتاع بالحياة(٣).

وظهر التأثير السلبي للنزعة الفردية والحرية المطلقة على منظومة الأسرة الغربية؛ فقد ساهمت في تفكُّكها، وغيّرت الصورة النمطية للزواج؛ فبدأت بالزواج التجريبي، ثم زواج المثليّين: نساء مع نساء! ورجال مع رجال! والمطالبة بتعديل قانون الأسرة؛ ليضم هؤلاء، وقد طالبت الجمعيات الأهلية المجتمع العالمي بالاعتراف بهذا الزواج ضرورةً لحماية الأبناء، وضمانًا لمستقبلهم

(١) انظر: الأنظمة الاقتصادية في العالم، (٢٨– ٣٥).

(٢) انظر: النزعات الأصولية (٧٨).

(٣) انظر: نظرية الفرد والمجتمع والمجتمعات الإنسانية المعاصرة، صحيفة: الرياض، ع: (١٦)، ١٩ يوليو ٢٠١٩م.

القلق[1]؛ حيث أخذ الإنسان الغربي المعاصر يشعر أنه مجرد رقم في حسابات الشركات العابرة للقارات، وأنه يعيش حياةً ليست ملكه؛ بحيث يخطط له في كل شيء، ويملك كلّ شيء في الوقت الذي لا يملك فيه لا إرادته، ولا رأيه، ولا حريته، فوسائل الإعلام هي التي تُحدد له مواقفه السياسية، والأحزاب الممولة هي التي تُحدد من سيكون رئيسه، والشركات الكبرى هي التي تفرض على برلمانه القوانين الاقتصادية التي تناسب مصالحها، والمشكلة: أن المجتمع الحالي أصبح يبرر، ويتفهم، ويعقل تلك التجاوزات كلّها على حياة الإنسان، وعقله، وحريته؛ الأمر الذي يَعني: أن المؤسسات الكبرى، وما تملكه من تقنية، ووسائل إعلام، ومؤسسات علمية، وإمكانيات اقتصادية أصبحت هي التي تُشكل النظام القيمي والأيديولوجي للمجتمع؛ إذ أصبح (النموذج التكنولوجي) هو النموذج الأمثل لحياة المجتمعات ومستقبلها[2].

ثانيًا: ضعف التدين، وانتشار الإلحاد: رغم تأثير المجتمعات الأوربية بالثقافة النصرانية في بعض نظم الأسرة والعادات والتقاليد والقيم، إلا أن الإلحاد تغلغل في البلاد الغربية، فأصبحت عبادة المادة، وتلبية رغبات النفس، هي الدين البديل في هذه المناطق من العالم، وتعود بعض أسباب هذه الجفوة بين الدين والإنسان الغربي إلى التأثر بالنظريات النفسية؛ كنظرية: "فرويد" على سبيل المثال؛ فهي صورة من صورة الإلحاد الغربي المعاصر؛ لأنّه يُفسّر فكرة الوجود الأعلى بأنّها مُستمدّة من ثنائية الاتجاه العاطفي المؤلّفة من الحبّ والخوف، والحاضرة في العلاقة بين الابن والوالد[3]، وبسبب هذه التفسيرات المنحرفة أصبح الناس في هروب مستمر يبحثون عن الراحة النفسية، والصفاء الروحي، يقول الراهب الإيطالي "جوزيبي سكاتوليني": "الإنسانية نفسها في خطر ونحن في حاجة إلى استعادة القيم الروحية التي تشكل جوهر الإنسان، هذه القيم نجدها في التصوف الإسلامي، وفي الروحانيات في المسيحية والبوذي"[4].

ولو نظرنا إلى بعض مشاكل الحضارة على المجتمعات الغربية كالمجتمع الأمريكي على سبيل المثال، فقد بلغ عدد المساجين هناك في نهاية عام ١٩٩٩م إلى مليوني سجين، كذلك تُعاني الأسرة الأميركية من التفكك؛ فمعدلات الطلاق وصلت إلى نسبة: ٥٠ %، وما يقارب: (٥٠ – ٦٠) مليون أميركي ممن تجاوزوا الأربعين من العمر يُعاني من الكآبة، وهذا الرقم يعادل خُمس سكان الولايات المتحدة تقريبًا[5].

المطلب الثاني: موقف المسلمين من الحضارة الغربية

إن المظاهر المادية التي صنعتها الآلة الغربية قد فتن البعض، وأبهرهم بريق هذا التقدم الكبير، والمدنيّة العظيمة، والرفاهية اللامتناهية، ولكن ما هو موقف المسلم تجاه هذه الحضارة!؟

إن قضية الاقتباس من حضارة سابقة أو معاصرة، والاستفادة منها قضية طبيعية؛ فهناك حضارات في كل زمان تقوم وتزدهر وتتوسع وتترقى، تسنح لأمم وشعوب فرصةً لتوجيه المجتمع، وتنظيم الحياة، وتذليل عقباتها، وترفيه معيشتها، ثم تأتي أمم

---

(١) ومن نتائج مؤتمر السكان الزواج بين فتاتين، مجلة الدعوة، ع: (١٤٦١)، ٦ أكتوبر ١٩٩٤م.

(٢) انظر: العلم، وأزمة المجتمع الغربي المعاصر، مجلة جامعة دمشق، م: (٣٠)، ع: (٤٣)، ٢٠١٤م، (٤٦٤-٤٦٦).

(٣) موسوعة الفلسفة (١/٢٢١).

(٤) التجارب الصوفية تصلح كبديل للإسلام السياسي، صحيفة الأهرام، ع: (٤٧٧١٧)، ١٥ يونيو ٢٠١٢م.

(٥) انحراف المجتمع الأميركي بالأرقام، مجلة الوعي، ع: (٢٦)، ٢٠٠٩م.

ومجتمعات فتستفيد من هذه التجارب، وتقتبس من هذه المنجزات والمعطيات للعلم البشري.

وكان هذا هو موقف الجيل العربي الإسلامي الذي فتح المستعمرات الرومية والإيرانية، وكان عليه أن يحكم هذه الدول الكبيرة والبلاد الواسعة التي بلغت فيها المدنيّة شأوًا عظيمًا، وينظم الحياة والإدارة فيها، إنه موقف اقتباس حر كريم، واختيار رجل قوي معتدٍّ برسالته ودينه الذي كان يحمل حضارةً خاصةً ونمطًا للحياة متميّزًا، فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها؛ فهو أحق بها(١).

ولعلنا نستضيء بكلام مفيد للعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في هذا الباب؛ حيث وضّح ما يجب أن يكون عليه موقف المسلمين الطبيعي من الحضارة الغربية، ألخصها بالنقاط الآتية:

١- إنها حضارة تحتوي على النافع والضار، أما النافع منها؛ فهو من الناحية المادية، وتقدمها في جميع الميادين المادية، وما تضمنته من المنافع للإنسان أعظم مما كان يدخل تحت التصور؛ فقد خدمت الإنسان خدمات هائلة من حيث إنه جسد حيواني.

٢- والضار منها؛ فهو إهمالها بالكلية للناحية الروحية للإنسان، وتهذيب أخلاقه، وذلك لا يكون إلا بنور الوحي السماوي الذي يُوضح للإنسان طريق السعادة، ويرسم له الخطط الحكيمة في كل ميادين الحياة.

٣- فالحضارة الغربية غنية بأنواع المنافع من الناحية الأولى، مفلسة إفلاسًا كليًّا من الناحية الثانية.

٤- نستفيد منهم: الاشتغال بالتقدم المادي؛ فإن عدم الاهتمام به يُؤدي إلى الضعف الدائم، ويخالف قوله تعالى: ﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۝٢٧ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٥- ولا نأخذ كلَّ ما فيها من ضياع المثل العليا، والتمرد على الله.

٦- ويحرُم أخذ الضار، وترك النافع، وهكذا كان يفعل الرسول ﷺ؛ فقد انتفع بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، مع أن ذلك خطة عسكرية كانت للفرس، أخبره بها سلمان، فأخذ بها، ولم يمنعه من ذلك أن أصلها للكفار، وقد انتفع بدلالة ابن الأريقط الدؤلي له في سفر الهجرة على الطريق، مع أنه كافر. فاتّضح من هذا الدليل: أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية هو: أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية، ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون، فتصلح لهم الدنيا والآخرة(٢).

قامت الحضارة الغربية ببناء نهضة عمرانية وآلية عظيمة يسّرت للناس أمور حياتهم وأعمالهم وتجارتهم، ولكنها اختلت اجتماعيًّا ودينيًّا؛ مما أدى إلى انتكاس الأخلاق، وانتشار الإلحاد، والبُعد عن الدين، وهذا سبب جميع مشكلاتها المعاصرة.

---

(١) الحضارة الغربية (٩، ١٠).

(٢) انظر: أضواء البيان (٣١٠).

الخاتمة:

الحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات، وتبلغ الغايات، وتُنال المكرمات، وتُفرج الكربات، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه تسليمًا كثيرًا. أما بعد: فقد أوردت في هذا البحث أهم الحضارات السابقة التي قامت على آثارها دول الغرب، وكوّنت الأسس الفكرية والفلسفية والنظريات العلمية التي بُنيت عليها الاتجاهات الفكرية والدينية لمجتمعاتها وأفرادها، كما تظهر آثارها على الواقع الغربي.

وقد توصلت إلى بعض النتائج والتوصيات، وهي كالآتي:

النتائج:

١- ظهور الأثر العميق لكلٍّ من الحضارتين: اليونانية والرومانية على الحضارة الغربية: دينيًّا، وثقافيًّا، وسياسيًّا، وعمرانيًّا، واجتماعيًّا.

٢- أثر الكنيسة السلبي على الدولة والتعليم والدين في المجتمعات الأوروبية؛ فقد أدت العقائد البدعية للكنيسة إلى ضعف الإيمان، وكراهية الدين، وأضعفت ثقة الناس بالدين؛ فقامت الحركات الثورية والعلمية ضدها.

٣- كردة فعل تُجاه الكنيسة ظهرت حرية التدين، واتباع الحرية الشخصية، وعدم التقيد بالأخلاق الدينية. كما أحدثت الحركات الإصلاحية والثورات الاجتماعية والعلمية تغيُّرات دينية واجتماعية وسياسية كبيرة؛ فقد طالبت الثورة الفرنسية في بداياتها بحقوق كانت ممنوعة؛ كحق المساواة بين الناس، وحق التصرف في الأموال، وقيام دولة غير دينية تحكم باسم الشعب.

٤- كان للنظريات السياسية والاقتصادية الحديثة أثرها في تأسيس الفكر الغربي، مثل: الرأسمالية، والاشتراكية الماركسية، التي وجهت فكر وحياة الإنسان في المجتمعات الغربية؛ فظهرت تحولات اجتماعية، ومشاكل لقيام تلك النظريات ببناء المجتمع على أسس مادية لا إنسانية.

٥- بيان موقف المسلم تُجاه الحضارة الغربية.

التوصيات:

١- قيام دراسات تُعمق البحث عن الحضارة الغربية، وأسسها، ومراحل تطورها.

٢- دعوة الباحثون في الحضارات الغربية إلى دراسة وإتقان اللغة الإنجليزية، أو أي لغة أوروبية؛ لقراءة كتبهم، وفهم ثقافتهم بصورة أشمل.

هذا، وأسأل الله الكريم أن يبارك في الجهود، ويُسدد الخُطَا، وأن يرزقنا الإخلاص والقَبول، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

القرآن الكريم (جل منزلة وعلا).

ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي. (١٩٩٣م). لسان العرب، ط٣، بيروت، دار صادر.

ثانيًا: الكتب

أبو خالفة، فتحي. (٢٠١٠)، شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، ط١، الأردن، عالم الكتب الحديث.

أرمسترونج، كارين. (٢٠٠٥م)، الأصولية، ترجمة: محمد الجورَا، دمشق، دار الكلمة.

أرمسترونغ، كارين. (٢٠٠٨)، تاريخ الأسطورة، ترجمة: وجيه قانصو، ط١، بيروت، الدار العربية للعلوم.

آق بلوت، شمس الدين. (١٩٨٠م)، دارون، ونظرية التطور، ط٧، القاهرة، دار الصحوة.

أندرو ميلر. (٢٠٠٣م)، مختصر تاريخ الكنيسة، ط٤، مكتبة الأخوة، الإسكندرية، مصر.

بلوت، شمس الدين. دارون ونظرية التطور، ط٧، القاهرة، دار الصحوة.

البهنساوي، سالم علي. (١٩٩٠م)، تهافت العلمانية في الصحافة العربية، ط١، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

البهي، محمد. (١٣٩٨هـ)، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط١٠، القاهرة، مكتبة وهبة.

تيلي، تشارلز. (٢٠١٠م)، الديموقراطية، ترجمة: طباخ، محمد فاضل، ط١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.

الجندي، أنور. (١٩٨٠)، إحياء التراث الجاهلي والوثني تحت اسم الفلكلور التراث الشعبي، ط١، القاهرة، دار الأنصار.

حجي، طارق. (١٩٨٠)، الشيوعية والأديان، القاهرة، مطبعة الإتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.

حسيبة، مصطفى. (٢٠٠٩م)، المعجم الفلسفي، ط١، لبنان، دار أسامة للنشر والتوزيع.

الحمد، عبد القادر شيبة. (١٤٣٣هـ)، أضواء على المذاهب الهدامة، ط١، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.

الحمد، محمد. (٢٠٠٢)، الشيوعية، ط١، الرياض، دار ابن خزيمة.

الخشاب، د. مصطفى. (١٣٨٧هـ)، علم الاجتماع ومدارسه، ط١، مصر، دار الكتاب العربي.

دائرة المعارف البريطانية. (New Oxford American Dictionary)، (١٩٩٨م)، مادة (secularism)، ط١، بريطانيا، دار نشر جامعة أكسفورد.

دوابه، أشرف محمد. (٢٠١٠)، الاقتصاد الإسلاميُّ مدخل ومنهج، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

دوركايم، إميل. (١٩٨٨م)، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة: د. محمود قاسم، و د. السيد محمد بدوي، ط١، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

ديورَانت، ول. (١٩٨٨)، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، ط١، بيروت، دار الجيل.

ديورانت، ويليام جيمس. (٢٠٠٦م)، قصة الفلسفة، ط٢، ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم: محيي الدين صابر، السعودية، مكتبة كنوز المعرفة.

الرازي، أحمد. (١٩٧٩)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، بيروت، دار الفكر.

الرازي، محمد ابن أبي بكر. (١٩٨٦م)، مختار الصحاح، ط١، بيروت، مكتبة لبنان.

رستم، سعد. (٢٠٠٥م)، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ط٢، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع.

شلبي، أحمد. (١٩٧٦)، الأنظمة الاقتصادية في العالم، ط١، مصر، دار النهضة.

شلبي، د. أحمد. (١٩٧٦م)، الأنظمة الاقتصادية في العالم، ط١، مصر، دار النهضة.

الشنقيطي، محمد الأمين. (١٩٩٥م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر.

عاشور، سعيد عبد الفتاح. (١٩٩٧م)، أوروبا العصور الوسطى، ط٨، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

عجيبة، د. أحمد علي. (٢٠٠٤م)، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ط١، القاهرة، دار الآفاق العربية.

عجيبة، د. أحمد علي. (٢٠٠٤م)، دراسات في الديانات الوثنية القديمة، ط١، القاهرة، دار الآفاق العربية.

عكاشة، علي. (٢٠١٠)، اليونان والرومان، ط١، الأردن، دار الأمل للنشر والتوزيع.

علي، محمد يوسف. (١٩٦٦م)، الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، مكتبة الحياة، بيروت.

عمر، أحمد. (٢٠٠٨)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، القاهرة، دار عالم الكتب.

العمر، عبد الله. (١٩٨٣)، ظاهرة العلم الحديث، ط١، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

عواجي، غالب بن علي. (٢٠٠٦م)، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، ط١، جدة، المكتبة العصرية الذهبية.

فارس، فايز. (١٩٨٤م)، أضواء على الإصلاح الإنجليزي، ط١، القاهرة، مطبعة القاهرة الحديثة، دار الثقافة المصرية.

فرويد، سيغموند. (١٩٨٩م)، الموجز في التحليل النفسي، تحقيق وترجمة: د. سامي محمود، ط١، دار المعارف.

كريب، ايان. (١٩٩٩)، الظاهرة الاجتماعية، ترجمة: غلوم، محمد حسين، ط١، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

لوبون، غوستاف. (١٩٣٤)، روح الثورات والثورة الفرنسية، ترجمة عادل زعيتر، ط١، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي.

مؤنس، د. حسين. (١٩٧٨م)، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الميداني، عبد الرحمن حسن. (١٩٩٨م)، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ط٣، بيروت، دار القلم.

ميكافيلي. (٢٠٠٤م)، الأمير، ترجمة: أكرم مؤمن، القاهرة، مكتبة ابن سينا.

الهروي، محمد. (٢٠٠١)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

وحيد، لطفي. (١٩٩٣م)، أشهر الديانات القديمة في التاريخ، الإسكندرية، مصر، المركز العربي للنشر والتوزيع.

المجلات العلمية:

.حمودة، معالي عبد الحميد. (العدد: (١٤٦١)، ٦ أكتوبر ١٩٩٤م) ومن نتائج مؤتمر السكان الزواج بين فتاتين، مجلة الدعوة

.الزازان، عبد الله. (العدد: (١٦)، ١٩ يوليو ٢٠١٩م) نظرية الفرد والمجتمع والمجتمعات الإنسانية المعاصرة، صحيفة: الرياض

سعيد، نظام الدين مجيد. (العدد: ٢٦٧، السنة الثالثة والعشرون، ربيع الثاني ١٤٣٠هـ، نيسان ٢٠٠٩م)، انحراف المجتمع الأميركي بالأرقام، مجلة الوعي، صادرة من وزارة الإعلام، لبنان.

سكاتوليني، جوزيبي. (٢٠١٢م)، التجارب الصوفية تصلح كبديل للإسلام السياسي، مصر، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية

صالح، رشيد الحاج. (المجلد: (٣٠)، العدد: (٤٣)، ٢٠١٤م)العلم، وأزمة المجتمع الغربي المعاصر، مجلة جامعة دمشق.

The Noble Qur'an (Glory be to Him).
Abu Khalifa, Fathi. (2010), The Poetics of Modern Reading and the First in the Novel, 1st edition, Jordan, The World of Modern Books.
Agiba, Ahmed Ali. (2004 AD). The impact of the Church on European thought, 1st edition, Cairo, Dar Al-Afak Al-Arabiya.
Agiba, Dr. Ahmed Ali. (2004 AD), Studies in Ancient Pagan Religions, 1st edition, Cairo, Dar Al-Afaq Al-Arabiya.
Agiba, Dr. Ahmed Ali. (2004 AD), The Impact of the Church on European
Al-Ahdath Magazine, issue: (1461), October 6, 1994 AD.
Al-Bahi, Muhammad. (1398 AH), Modern Islamic Thought and its Relation to Western Colonialism, 10th edition, Cairo, Wahba Library
Al-Hamad, Abdul Qadir Shaybah. (1433 AH), Lights on destructive doctrines, 1st edition, Riyadh, King Fahd National Library.
Al-Harawi, Muhammad. (2001), Refinement of the Language, edited by: Muhammad Awad Merheb, 1st edition, Beirut, Arab Heritage House.
Ali, Muhammad Yusuf. (1966 AD) The artificial estrangement between science and religion, Al-Hayat Library, Beirut.
Al-Khashab, Dr. Moustafa. (1387 AH). Sociology and its schools, 1st Edition, Egypt, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
Al-Maidani, Abdul Rahman Hassan. (1998 AD) Kawashif Falsehoods in Contemporary Intellectual Doctrines, 3rd edition, Beirut, Dar Al-Qalam.
Al-Omar, Abdullah. (1983), The Phenomenon of Modern Science, 1st edition, Kuwait, National Council for Culture, Arts and Letters.
Al-Razi, Ahmed. (1979), Dictionary of Language Standards, edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, 1st edition, Beirut, Dar Al-Fikr.
Al-Razi, Muhammad Ibn Abi Bakr, (1986 AD). Mukhtar Al-Sahah, 1st edition, Beirut, Library of Lebanon.
Al-Shanqeeti, Muhammad Al-Amin. (1995 AD). The lights of the statement in clarifying the Qur'an in the Qur'an, Beirut, Dar Al-Fikr.
Aq Balut, Shams al-Din. (1980 AD), Darwin and the theory of evolution, translated by: Orkhan Muhammad Ali, 7th Edition, Cairo, Dar Al-Sahwa.
Armstrong, Karen. (2005 AD), Fundamentalism, translated by: Muhammad Al-Jura, Damascus, Dar Al-Kalima.
Armstrong, Karen. (2008), The History of Myth, translated by: Wajih Qanso, 1st edition, Beirut, Arab House of Sciences.
Ashour, Said Abdel-Fattah. (1997 AD). Medieval Europe, 8th edition, Cairo, Anglo-Egyptian Library.

Awaji, Ghalib Ben Ali. (2006 AD), Contemporary Intellectual Doctrines and Their Role in Societies and the Muslim's Attitude towards Them, 1st Edition, Jeddah, Al-Asriyya Al-Dhahabi Library.
Bahnasawy, Salem Ali. (1990 AD), The Incoherence of Secularism in the Arab Press, 1st edition, Egypt, Dar Al-Wafaa for printing, publishing and distribution.
Balut, Shams al-Din. Darwin and the Council of Evolution, 7th edition, Cairo, Assembly House.
Cribb, Ian. (1999), The Social Phenomenon, translated by: Ghuloum, Muhammad Hussein, 1st edition, Kuwait, National Council for Culture, Arts and Letters.
Damascus University Journal, issue: (30), issue: (43), 2014 AD.
Dawaba, Ashraf Muhammad. (2010), Introduction to Islamic Economics and Methodology, Egypt, Dar Al Salam for Printing, Publishing, Distribution and Translation.
Derant, L. (1988), The Story of Civilization, translated by: Zaki Najib Mahmoud et al., 1st edition, Beirut, Dar Al-Jeel.
Durant, William James. (2006 AD). The Story of Philosophy, 2nd Edition, Translated by: Zaki Naguib Mahmoud, Presented by: Muhyiddin Saber, Mahmoud Muhammad Mazroua, Saudi Arabia, Knowledge
Durkheim, Emile. (1988 AD) Curriculum Rules in Sociology, translated by: Dr. Mahmoud Qassem and Dr. Mr. Mohamed Badawy., 1st edition, Alexandria, University Knowledge House.
Encyclopedia Britannica, (New Oxford American Dictionary), (1998AD), article (secularism), 1st edition, Britain, Oxford University Press.
Fares, Fayez. (1984 AD). Lights on the English Reformation, 1st edition, Cairo, Cairo Modern Press, Egyptian House of Culture.
Freud, Sigmund. (1989 AD), The Brief in Psychoanalysis, investigation and translation: Dr. Sami Mahmoud, 1st edition, Dar Al-Maarif.
Hajji, Tariq. (1980), Court and Religions, Cairo, edition of the International Union of Islamic Nuclear Medicine.
Hassiba, Mustafa. (2009 AD), The Philosophical Lexicon, 1st edition, Lebanon, Dar Osama for publication and distribution.
Ibn Manzoor. Muhammad Ibn Makram Ibn Ali. (1993 AD). Lisan Al-Arab, 3rd edition, Beirut, Dar Sader.
Le Bon, Gustave. (1934), The Spirit of Revolutions and the French Revolution, translated by Adel Zuaiter, 1st edition, United Kingdom, Hindawi Foundation.
Mu'nis, d. Hussein. (1978 AD). Civilization, a study in the origins and factors of its establishment and development, World of Knowledge series, Kuwait, National Council for Culture, Arts and Literature.

Newspaper: Al-Riyadh, A: (16), July 19, 2019 AD.
Okasha, Ali. (2010), Greece and the Romans, 1st edition, Jordan, Dar Al Amal for Publishing and Distribution.
Omar, Ahmed. (2008), Dictionary of the Contemporary Arabic Language, 1st edition, Cairo, Dar Alam al-Kutub.
Praise, Muhammad. (2002), Chemistry, 1st edition, Riyadh, Dar Ibn Khuzaymah.
Rustam, Saad. (2005 AD) Christian sects and sects since the advent of Islam until today, 2nd edition, Damascus, Al-Awael for publication and distribution.
Scatolini, Giuseppe. (2012 AD). Sufi experiences serve as an alternative to political Islam, Egypt, Al-Ahram Center for Political and Strategic Studies.
Shalabi, Ahmed. (1976), Economic Electronics in the World, 1st edition, Egypt, Dar Al-Nahda.
Shalaby, Dr. Ahmed. (1976 AD), Economic Systems in the World, 1st edition, Egypt, Dar Al-Nahda
Soldier, Anwar. (1980), Renewing the Pre-Islamic and Pagan Heritage under the Name of Folklore, Popular Heritage, 1st edition, Cairo, Dar Al-Ansar.
Thought, 1st edition, Cairo, Dar Al-Afaq Al-Arabiya.
Tilly, Charles. (2010 AD), Democracy, translated by: Tabakh, Muhammad Fadel, 1st Edition, Beirut, Arab Organization for Translation.
Waheed, Lotfi. (1993 AD) The most famous ancient religions in history, Alexandria, Egypt, the Arab Center for Publishing and Distribution.Treasures Library.
Machiavelli, (2004 AD), The Prince, translated by: Akram Momin, Cairo, Ibn Sina Library.
Al-Zazzan, Abdullah. (Issue: (16), July 19, 2019) The Theory of the Individual, Society, and Contemporary Human Societies, newspaper: Al-Riyadh.
Hamouda, His Excellency Abdel Hamid. (Issue: (1461), October 6, 1994 AD) Among the results of the Population Conference is marriage between two girls, Al-Da'wa Magazine.
Saeed, Nizam al-Din Majeed (Issue 267, the twenty-third year, Rabi` al-Thani 1430 AH, April 2009 AD), The Deviation of American Society in Numbers, Al-Aware Magazine, issued by the Ministry of Information, Lebanon.
Saleh, Rashid Al-Hajj. (Volume: (30), Issue: (43), 2014) Science and the Crisis of Contemporary Western Society, Damascus University Journal.